سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٣٥١)

يا هذا

من مواعظ ابن الجوزي

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

٥-"ببابك ، وقل أن يعيق بريح الثواب شيء من أثوابك ، والشيطان يجري منك مجرى الدم من آرابك ، فهو متمكن منك إذا قمت في محرابك إلى حين قولك الله أكبر.

تقوم إلى صلاتك وأنت متكاسل ، وتدخل في الصلاة بقلب غافل ، وتستعجل في الصلاة لأجل العاجل ، وإذا نظرت بعد الصلاة إلى الحاصل: فالجسد أقبل والقلب أدبر.

يا من ذل المعاصي يعلوه ، يا مظلم القلب متى تجلوه ، هذا القرآن يتلى عليك وتتلوه ولكن ما تتدبر.

يا مغترا بالزخارف والتمويه ، تعجب بما تجمعه من الدنيا وتحويه ، هلك والله ذو عجب أو كبر أو تيه ، ونجا والله أشعث أغبر؛ أنت في دار انزعاج فاحذر منها لا تركن

إليها ولا تأمنها ، إنما أسكنتها لتخرج عنها ، فتأهب للنقلة فما يستوطن معبر ، أين من كان يتنعم في قصورها قد فسح لنفسه في توانيها وقصورها ، خدعته والله بغرير غرورها بعد أن ساس الرعايا ودبر ، نقلته والله صريعا سريعا وسلبته والله ما جمعه جميعا ، وبزته كبرا كبيرا وعزا منيعا ، أتراه يفتخر في قبره أو يتكبر ، خلا بعمله في ظلام لحده لم ينفعه غير اجتهاده وجده ، لو قضي برجوعه إلى الدنيا ورده لحدثنا بهذا أو أخبر.

فتنبه أنت من رقداتك ، وكن وصي نفسك في حياتك ، فلقد بالغت الزواجر في عظاتك ، كم تسمع موعظة وكم تجلس تحت منبر ، يا لها من نصيحة لو وجدت نفاذا ، هي حجة عليك إذا لم تكن ملاذا ، والشيء إذا لم ينفع فربما آذى ، **وأنت يا هذا بعد** هذا بنفسك أخبر.". [1]

٦-"اليد ، يا من إذا دعوناه لم يسدد ، كيف يختار الضلال من يعرف الطريق الأرشد ، كيف يؤثر النزول من يقال له اصعد ، إن اللبيب ليرى بعين الفكر ما في غد ، لو سمعت الحجارة وعظنا لانفطر الجلمد ، كم نصبنا لك شركا وإلى الآن لم نصطد.

(حتى متى لا تزال معتذرا ... من زلة منك لا تزال راكبها)

(تعقبها مثلها وتعقبك الحسرة ... من مثلها عواقبها)

(لتركك الذنب لا تقاربه ... أيسر من توبة تطالبها)

أيها المعرض عن شكر الإفضال والنعم ، زاحمت على حوض الغفلة النعم ، تمد يد الجهل بالإنعام إلى أخذه واقتباسه ، وتنسى عقوبة ما قد جنيته في وقت باسه ، أين الهرب بخطاك ، عجبا منك وعيني تراك ، تراك تستحي من غيري ومني لا تراك ، من الذي ستر على القبيح فيما مضى ، من الذي لطف بك في دين دينه إذا اقتضى ، **يا هذا إن** وجدت من يصلح لك غيرنا فاذهب ، وإن رأيت مشربا يلذ غير حلمنا فاشرب ، لو أعلمت أباك ما نعلم منك أباك ، ولو أريت أخاك ما أريتنا جفاك ، نعمنا عليك قديمة كم نبعث لك ديمة لطف بعد ديمة ، أتراك تحن إلى ودنا ، أو تراعي عهد عهدنا.

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٣٢٢/١

يا هذا: جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، فواعجبا ممن لم ير محسنا سوى الله عز وجل كيف لا يميل بكليته إليه ، يا منعما عليه بالعافية بئس ما أنفقت فيه رأس المال ، كم ذنب لك فعله غيرك فهتك ذاك وسترت.

ويحك! احذر نفار النعم فما كل شارد بمردود! إذا وصلت إليك أطرافها فلا تنفر أقصاها بقلة الشكر!

(لك نفس يسرها ... كل شيء يضرها)

(هي تفنى على الزمان ... ويزداد شرها)". (١)

٧-"فانظر إلى مقت هؤلاء أنفسهم حتى أسلموها إلى الهلاك غضبا عليها لما فعلت.

ومن التائبين من لم يجز له التعريض بقتلها ، فكان ينغص عيشها.

قال بعض السلف: رأيت ضيغما العابد فد أخذ كوزا من ماء بارد فصبه في الحب واكتال غيره ، فقلت له في ذلك فقال: نظرت نظرة وأنا شاب فجعلت على نفسي

ألا أذيقها الماء البارد ، أنغص عليها أيام الحياة.

يا نادما على الذنوب أين أثر ندمك ، أين بكاؤك على زلة قدمك ، أين حذرك من أليم العقاب ، أين قلقك من خوف العتاب ، أتعتقد أن التوبة قول باللسان ، إنما التوبة نار تحرق الإنسان. جرد قلبك من الأقذار ، ثم ألبسه الاعتذار ، ثم حله حلة الانكسار ، ثم أقمه على باب الدار.

لهج بعض العباد بالبكاء ، فعوتب على كثرته فقال:

(بكيت على الذنوب لعظم جرمي ... وحق لكل من يعصي البكاء)

(فلو أن البكاء يرد همي ... لأسعدت الدموع معا دمائي)

اعلم أن التائب المحقق يشغله تنظيف ما وسخ ، والحزن على ما فرط عن تصوير زلة ثانية.

[يا هذا] اكتب قصة الرجوع بقلم النزوع بمداد الدموع ، واسع بها على قدم الخضوع إلى باب الخشوع ، وأتبعها بالعطش والجوع ، وسل رفعها فرب سؤال مسموع ، كم هتك ستر من فعل خطيئة قد فعلتها وسترت ، فابك على كثرة الذنب أو [على] قلة الشكر.

(لئن جل ذنبي وارتكبت المآثما ... وأصبحت في بحر الخطيئة عائما)

(أجر ذيلي في متابعة الهوى ... لأقضي أوطار البطالة هائما)

(فها أنا ذا يا رب أقررت بالذي ... جنيت على نفسي وأصبحت نادما)

(أجل ذنوبي عند عفوك سيدي ... حقير وإن كانت ذنوبي عظائما)". (٢)

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ١/٣٥٤

(٢) التبصرة لابن الجوزي ١/٣٧١

٨-"تشبث بذيل الحلم ، وصح بصاحب العفو لعل شفيع الاعتراف يسأل في أسير الاقتراف.
(ذنبي إليك عظيم ... وأنت للعفو أهل)
(فإن عفوت بفضل ... وإن أخذت فعدل)
[يا هذا] مناجاتك منجاتك ، وصلاتك صلاتك ، ناد في نادي الأسحار والناس نائمون: يا أكرم من أمله الآملون.
(علي دين ثقيل أنت قاضيه ... يا من يحملني ذنبي رجائيه)
(الحل مرهقة والنفس مشفقة ... من دائها المتمادي أو تداويه)
إن طردتني فإلى من أذهب ، وإن أبعدتني فإليك أنسب ، علمت ذنبي وخلقتني ، ورأيت زللي ورزقتني.
(بري معروفكم قبل أبي ... وغذاني بركم قبل اللبن)
(وإذا أنتم وأنتم أنتم ... لم تولوني وتولوني فمن)
يا هذا: ماء العين في الأرض حياة الزرع ، وماء العين على الخد حياة القلب ، يا طالب الجنة: بذنب واحد أخرج أبوك منها ، أتطمع في دخولها بذنوب لم تتب عنها ، إن امرأ تنقضي بالجهل ساعاته ، وتذهب بالمعاصي أوقاته ، لخليق أن تجري دائما دموعه ، وحقيق أن يقل في الدجى هجوعه.
وا أسفا لمن ذهب عمره في الخلاف ، وصار قلبه بالخطايا في غلاف ، لما سترت عن التائبين العواقب فزعوا إلى البكاء واستارحوا إلى الأحزان ، كانوا يتزاورون فلا تجري في خلوة الزيارة إلا دموع الحذر.
(باحت بسري في الهوى أدمعي ... ودلت الواشي على موضعي)
(يا قوم إن كنتم على مذهبي ... في الوجد والحزن فنوحوا معي)
(يحق لي أبكي على زلتي ... فلا تلوموني على أدمعي)
آه لنفس لا تعقل أمرها ثم قد جهلت قدرها ، تضيع في المعاصي عمرها". (١)

٩-"(سالكا في كل فج وحده ... حين لا يوحشه طول انفراد)
(وكذاك البدر يسري في الدجى ... وله من نفسه نور وهاد)
نزع أبو بكر ثوب مخيط الهوى فمزقه علي ، رمى الصديق جهاز المطلقة فوافقه علي في نزع الخاتم.
(حبب الفقر إليه أنه ... سؤدد وهو بذاك الفقر يغنى)
(وشريف القوم من يبقي لهم ... شرف الذكر وخلى المال يفنى)
(ما اطمأن الوفر في بحبوحة ... فرأيت المجد فيها مطمئنا)
(تهدم الأموال من آساسها ... أبدا ما دامت العلياء تبنى)
توافق أبو بكر وعلي على رفض الدنيا ، فاسلك سبيلهما وجانب الرفض.

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٣٧٢/١

(وخير ما يذخر عبد لغد ... حب أبي بكر الإمام المرتضى)

(حب إمام أوضح الله به ... من سبل الإسلام ما كان عفا)

(لم يعبد اللات ولكن لم يزل ... معترفا بالله من حين نشا)

(لأنه كان زميل المصطفى ... يجري على منهاجه حين جرى)

(حتى إذا الله اصطفاه مرسلا ... أجاب بالتصديق لما أن دعا)

(وما ارتضاه للصلاة دونهم ... حتى رآه ذروة لا ترتقى)

(ثم دعوه بعده خليفة ... عن ملإ منهم وأعطوه الرضا)

(قال أقيلوني فلست خيركم ... فأعظموها وأبوا كل الإبا)

(والله إني لموال حيدرا ... مثل موالاتي عتيقا ذا السنا)

(هما إماماي وأمني في غد ... مما أخاف ورجائي واللجا)

(وإن دين الرفض كفر موبق ... فمن صحا من سكرة الرفض نجا)

لقد بان الهدى ولاحت الطريق ، فشمر أيها البخيل واخرج من المضيق ، وإياك والدنيا فكم قتلت من صديق ، افعل بها فعل علي أو فعل الصديق ، **يا هذا من** صفة المؤمن الكرم ، والكريم من أعطى ما لا يجب وأنت تبخل بالواجب ، **يا هذا مؤدي** الدين لا يحمد ، لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ،". (١)

١٠-"يا هذا لو صحت منك العزيمة أوقعت في جيش الهوى هزيمة، إن في البدن مضغة إذا صلحت صلح البدن وإذا فسدت فسد البدن ألا وهي **القلب، يا هذا متى** حصل الفساد في رأي الملك تشتت الأعوان، ومتى رمي القذر في فوهة النهر أثر في المشارع.

(وإذا كان في الأنابيب خلف ... وقع الطيش في رؤوس الصغار)

يا هذا إن أردت لقاءنا في حضرة القدس، واشتاق سمعك إلى نغمات الأنس، فصم عن لذات النفس وشهوات الحس، واصبر على قطع مفاوز الحسن واستأنس ببثك في بيت الوجد، وقض نهار المنى بمحادثة الفكر، واقطع أمل الهوى بقهر العزم، واقرع فضول الكلام بسوط الصمت، وأقم على طرف طرفك حاجب الغض، وانبذ إلى كلب الشهوات كسر الصبر، وفرغ دار عزلتك من شواغل القلب، فإذا سمعت ضجيج محبوس النفس يستغيث من سجن الزهد لشدة الحصر فصح [به] : يا صاح صبرا على ضيق الحبس، لعلك تخرج إلى رياض ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ .

(وقد صمت عن لذات دهري كلها ... ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي)". (٢)

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٤١٤/١

(٢) التبصرة لابن الجوزي ٤٩١/١

١١-"(يا سادرا في غيه ... حتام أنت مليم)

(لا تخدعن بمنية ... أم الخلود عقيم)

(حتام يجذبك المشيب ... بكفه وتهيم)

(وإذا المنية أبرقت ... فرجاؤك المهزوم)

(عشق البقاء وإنما ... طول الحياة هموم)

أين الذين ملكوا الدنيا ونالوا، زالوا **سبقوك يا هذا إلى** ما إليه آلوا، أين المغرورون بالآل آلوا إلى الشتات، أين المسرورون بالمال مالوا إلى الكفات، غلق رهن أعمالهم، وما علقوا إلا بالوبال، وصارت آصارهم في مصيرهم كالجبال، فندموا إذ لا ندم ينفع، وندبوا على المصاب ولكن بعد المصرع، وتجرعوا كؤوس البأس من كل مطمع وضربوا بسيوف من الحسرات إذ تهز تقطع.

(ظل من الدنيا تقلص زائلا ... ومنى يذاق على جناها العلقم)

(ما هذه الآمال إلا رقدة ... فيها بأضغاث الأماني نحلم)

(والكل في رق الفناء وإنما ... للنائبات معرض من يهرم)

(أبدا تفهمنا الخطوب كرورها ... ونعود في عمه كمن لا يفهم)

(تلقى مسامعنا العظات كأنما ... في الظل يرقم وعظه من يرقم)

(وصحائف الأيام نحن سطورها ... يقرا الأخير ويدرج المتقدم)

(لحد على لحد يهال ضريحه ... مع أعظم رمم عليها أعظم)

(من ذا توقاه المنون وقبلنا ... عاد أطاحهم الحمام وجرهم)

(والتبعان تلاحقا ومحرق ... والمنذران ومالك ومتمم)

(وممالك منعت بها أربابها ... فتجبروا ثقة بها وتعظموا)

(سلبوا ثياب الخنزوانة عنوة ... فهووا وشامخ عزهم متهدم)". (١)

١٢-"أخبرنا أبو بكر بن حبيب بسنده عن علي بن هزارمرد الصوفي قال: سمعت ابن محبوب تلميذ أبي الأديان يقول: ما رأيت خائفا إلا رجلا واحدا، كنت بالموقف فرأيت شابا مطرقا منذ وقف الناس إلى أن سقط القرص، فقلت **له:** **يا هذا ابسط** يدك للدعاء فقال لي: ثم وحشة. فقلت له: فهذا يوم العفو عن الذنوب. قال فبسط يده ووقع ميتا.
أخبرنا أبو بكر بن حبيب بسنده عن أبي بكر محمد بن داود الدينوري قال: سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول: كنت بذي الحليفة وشاب يريد أن يحرم، فكان يقول: يا رب أريد أن أقول لبيك اللهم لبيك فأخشى أن تجيبني بلا لبيك ولا سعديك. يردد ذلك مرارا، ثم قال: اللهم لبيك. مد بها صوته وخرجت روحه رحمة الله عليه.

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ١٠/٢

وقال سري: لقيت في طريق الحج حبشية فقلت: إلى أين؟ قالت: الحج. قلت: الطريق بعيد. فقالت:

(بعيد على كسلان أو ذي ملالة ... فأما على المشتاق فهو قريب)

ثم قالت: يا سري إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا. فلما وصلت البيت رأيتها تطوف كالفتى الشاطر، فنظرت إليها فقالت: يا سري أنا تلك العبدة لما جئته بضعفي حملني بقوته، لما حج الشبلي وأشرف على جدران مكة قال:

(أبطحان مكة هذا الذي ... أراه عيانا وهذا أنا!)

ثم غشي عليه، فلما أفاق قال:

(هذه دارهم وأنت محب ... ما بقاء الدموع في الآماق)

أخبرنا أحمد بن أحمد الهاشمي، وحدثنا عنه ابن ناصر، قال أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت بسنده عن الحسين بن عبد الرحمن قال: حج سعيد بن وهب ماشيا". [١]

١٣-"بالهموم والأحزان فيما يفوتني من الأنس بالله عز وجل.

يا هذا إذا توضأت بغير نية قيل للماء: ابذل له البلل لا الطهارة، فإذا نويت قيل له طهارة الظاهر، فإذا صفا قلبك فقد حصلت طهارتك حقيقة!

الكلام على البسملة

(أرى الناس سفرا في طريق المتالف ... فمن بالغ أخرى المدى ومشارف)

(وما بطن هذي الأرض إلا قرارة ... وأرواحنا مثل السيول الجوارف)

(وما الدهر إلا جولة ثم أولة ... ونحن بمرصاد الرقيب المشارف)

أيها المتفكر في القبور الدوارس، الباكي على من كان به يستأنس، ابك مطلقا ما يرعوي بنقل أهل المحابس، تيقظ للخلاص، فإلى كم أنت ناعس، وقم مبادرا للفوت فإلى كم أنت جالس، ليت شعري متى تتزود، ومتى تبيض القلب الأسود، أين الفرار والرقيب بالمرصد، إلى متى مع الزلل والإسراف، إلى كم مع الخطايا والاقتراف، أين الندم وأين الاعتراف، لقد سمعت من الوعظ كل شاف كاف، أنت فيما ينفعك قاعد، وفيما يضر ناهض، تتوب بلسانك وتضر بجناحك، أتناقض؟ الشر في باطنك داخل في الغوامض، أسد الشرى في البيع والشرا، فإذا يرى الخديعة خلا المرابض، يا غافلا عما قد أعد له أمكر هذا أم بله، ما عذر من تعثر في ظلمات العيب، بعد إضاءة نور الشيب، يا أسفى من للمحتضر، إذا علم من قد حضر، وقلب الطرف متحيرا ونظر ورأى العجائب وقلب البصر، وندم على إغفاله زاد السفر، وجرى دمع الأسى ثم انهمر واحتاج إلى قليل من الزاد وافتقر، ولم ينفعه كل مستور مدخر، وتقطع فؤاده أسفا وانفطر، إن هذا لعبرة لمن اعتبر، إن كان قد سبقك الغير فأنت على **الأثر، يا هذا الحساب** شديد والطريق بعيد وقد خاف من لا خوف عليه، فكيف سكن من لا

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ١٤٣/٢

أمن له!

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: وددت أني شعرة في صدر مؤمن.". (١)

١٤-"(هون عليك فإنها ... خلع أعاركها معير)

(والدهر يقسم مرة ... نفلا وآونة يغير)

كل راحات الدنيا هموم وكروب، أما دوام العيش بالمشيب مشوب.

نظر سليمان بن وهب وزير المهتدي يوما في المرآة فرأى شيبا كثيرا فقال: عيب لا عدمنا.

أنت كل يوم إلى القبر تتقرب، وسترحل إلى البلى وتتغرب، وسيأكل المحب بعدك ويشرب، وكأنك إذا ذكرت أضرب، فخذ العدة فخيل الشدة تسرب، واسمع نصحي فنصحي **مجرب، يا هذا احذر** الأمل، وبادر العمل، فكأنك بالأجل على عجل. أما الأعمار كل يوم ناقصة، أما الفجائع واردة واقصة، أما النكبات لأهلها معاقصة، أما كف الموت قابضة قانصة، فأنى لساكن الدنيا بالسلامة الخالصة، كأنك بالموت قد ثلب وقدح، وأورى زناد الرحيل وقدح، وخلت كفك يا من تعب وكدح، وتساوى لديك من ذم ومن مدح، ما هذه العمارة لدار خراب، كلما عمرها قوم صاح بينهم للبين غراب، أتبني وأنت نتقض، هذا العجاب:

(رب شريف البناء عاليه ... بالشيد والساج كان بانيه)

(كأنما الشمس في جوانبه ... بالليل من حسنه تباهيه)

(تحار في صحنه الرياح كما ... يحار ساري الظلام في التيه)

(كانت صحون فيح تضيق به ... فالشبر في القبر صار يكفيه)

الجد الجد قبل بغتات المنايا، البدار البدار قبل حلول الرزايا، ليحلن بكم من الموت يوم ذو ظلم ينسيكم معاشرة اللذات والنعم، ولا يبقي في الأفواه إلا طعم الندم:

(سل بالزمان خبيرا ... إني به لعليم)

(واهي الأمانة ظاعن ... بالمرء وهو مقيم)". (٢)

١٥-"مشتريا للظنن، يا مؤثرا للرذائل في اختيار الفتن، إن السرور والشرور في قرن، أنت في المعاصي مطلق الرسن وفي الطاعة كذي وسن، يا رضيع الدنيا وقد آن فطامه، يا طالب الهوى وقد حان حمامه.

قال وهب بن منبه: إن لله مناديا ينادي كل ليلة: أبناء الخمسين: هلموا للحساب، أبناء الستين ماذا قدمتم وماذا أخرتم؟ أبناء السبعين عدوا أنفسكم في الموتى:

(كبرت وقاربت نصف المائه ... وبدلت يا شيخ بالتسميه)

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٢/٢١٠

(٢) التبصرة لابن الجوزي ٢/٢٢٥

(وقد نشر الشيب في عسكر الشباب ... على رأسك الألويه)

(تحول إلى توبة لا تحور ... عساها تكون هي المنجيه)

(ولا تطلق اللحظ في ريبة ... ولا تسألن فتنة ما هيه)

(وهل غيرها قد تذوقته ... فكم تعتد الإثم والمعصيه)

إلى كم يا ذا المشيب، أما الأمر منك قريب، كم تعب في وعظك خطيب، كم عالجك طبيب. إنه لمرض عجيب، إنه لداء غريب عظم واهن وقلب **صليب، يا هذا لا** شيء أقل من الدنيا ولا أعز من نفسك، وها أنت تنفق أنفاس النفس النفيسة على تحصيل الدنيا الخسيسة، متى يقنعك الكفاف، متى يردك العفاف متى

يقومك الثقاف، إنك لتأبى إلا الخلاف، مقاليدك ثقال وركعاتك خفاف، يا قبيح الخصال يا سيء الأوصاف، يا مشتريا بسني الخصب السنين العجاف، قف متدبرا لحالك فالمؤمن وقاف، وتذكر وعيد العصاة ويحك أما تخاف:

(ما من الحزم أن تقارب أمرا ... تطلب البعد عنه بعد قليل)

(وإذا ما هممت بالشيء فانظر ... كيف منه الخروج قبل الدخول)

(لا مفرا من المقادير لكن ... للمعاذير عند أهل العقول)

ويحك إن الدنيا فتنة، وكم فيها من محنة، غير أنها لا تخفى على أهل الفطنة، لا يعز ذليلها ولا يودى قتيلها، من سكنها خرج، وساكنها منزعج:". (١)

١٦-"كلامك مكتوب وقولك محسوب، **وأنت يا هذا مطلوب**، ولك ذنوب وما تتوب، وشمس الحياة قد أخذت في الغروب، فما أقسى قلبك من بين القلوب، وقد أتاه ما يصدع الحديد ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ .

أتظن أنك متروك مهمل، أم تحسب أنه ينسى ما تعمل، أو تعتقد أن الكاتب يغفل، هذا صائح النصائح قد أقبل، يا قاتلا نفسه بكفه لا تفعل، يا من أجله ينقص وأمله يزيد، ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ .

(أنا من خوف الوعيد ... في قيام وقعود)

(كيف لا أزداد خوفا ... وعلى النار ورودي)

(كيف جحدي ما تجرمت ... وأعضائي شهودي)

(كيف إنكاري ذنوبي ... أم ترى كيف جحودي)

(وعلى القول يحصى ... برقيب وعتيد)

قوله تعالى: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ وهي غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله. وفي قوله: ﴿بالحق﴾) . قولان ذكرهما الفراء: أحدهما: بحقيقة الموت. والثاني: بالحق من أمر الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ أي ذلك الموت: ﴿ما كنت منه تحيد﴾ . أي تهرب وتفر.

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ٢٥٢/٢

قوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور﴾ . وهي نفخة البعث ﴿ذلك يوم الوعيد﴾ أي يوم وقوع الوعيد.
قوله تعالى: ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ . وفيه قولان: أحدهما: أنه ملك يسوقها إلى محشرها. قاله أبو هريرة.
والثاني: أنه قرينها من الشياطين سمي سائقا لأنه يتبعها وإن لم يحثها.
وفي الشهيد ثلاثة أقوال: أحدها: أنه ملك يشهد عليها بعملها. قاله عثمان بن عفان والحسن. وقال مجاهد: الملكان سائق وشهيد. وقال ابن السائب السائق:". (١)

١٧-"ينادي منادي تائبهم: لا أعود، والمنعم ينعم بالقبول ويجود، هم والله من الكون المقصود، فما حيلة المطرود والمعطي مانع ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ .
كن يا هذا رفيقهم، ولج وإن شق مضيقهم، واسلك ولو يوما طريقهم فالطريق واسع ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ .
اهجر بالنهار طيب الطعام، ودع في الدجى لذيذ المنام، وقل لأغراض النفس: سلام، والله يدعو إلى دار السلام، فما يقعد السامع ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ .
يا من يرجو مقام الصالحين، وهو مقيم مع الغافلين، ويأمل منازل المقربين، وهو ينزل مع المذنين، دع هذا الواقع. الصدق الصدق فيه تسلم، الجد الجد فيه تغنم، البدار البدار قبل أن تندم، هذا هو الدواء النافع ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ والله أعلم...................". (٢)

١٩-"قتل رجل قبلكم مائة نفس، ثم خرج تائبا فأدركه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فبعث الله ملكا يحكم بينهم، فقال: قيسوا ما بين القريتين، وأوحى إلى هذه أن تباعدي، وغلى هذه أن تقربي، فوجد أقرب إلى قرية الخير بشبر، فغفر له.
والحاكم والخصوم لا يعرفون سر (كذلك كدنا ليوسف) .
إذ صدق التائب أجبناه وأحييناه (وجعلنا له نورا يمشي به في الناس) يا معاشر التائبين (أوفوا بالعقود) انظروا لمن عاهدتم (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) فإن زللتم من بعد التقويم، فارجعوا إلى دار المداراة (فإن الله لا يمل حتى تملوا) .
عودوا إلى الوصل عودوا ... فالهجر صعب شديد
تذكرونا فما ... عهدي لديكم بعيد
كنا وكنتم قريبا ... فأين تلك العهود
هل يرجع البان يوما ... أم هل تعود زرود
الفصل الثامن
مجاهدة النفس

(١) التبصرة لابن الجوزي ٢/٢٥٦
(٢) التبصرة لابن الجوزي ٢/٣٠١

يا مقهورا بغلبة النفس، صل عليها بسوط العزيمة، فإنها إن عرفت جدك استأسرت لك، وامنعها ملذوذ مباحها ليقع الإصطلاح على ترك الحرام، فإذا صبرت على ترك المباح (فإما منا بعد وإما فداء) الدنيا والشيطان خارجان عنك، والنفس عدو مباطن، ومن أدب الجهاد (قاتلوا الذين يلونكم) إن مالت إلى الشهوات فاكبحها بلجام التقوى، وإن أعرضت عن الطاعات فسقها بسوط المجاهدة، وإن استحلت شراب التواني، واستحسنت ثوب البطالة فصح عليها بصوت العزم. فإن رمقت نفسها بعين العجب فذكرها خساسة الأصل، فإنك والله ما لم تجد مرارة الدواء في حلقك، لم تقدر على ذرة من العافية في بدنك، وقد إجتمعت عندك جنود الهوى في بيت النفس، فأحكمت حصن البطالة. فيا حزب التقى جردوا سيوف العزائم، وادخلوا عليهم الباب.

النفس مثل كلب السوء، متى شبع نام، وإن جاع بصبص. الحر يلحى والعصا للعبد.

كان أحد السلف إذا قهر بترك شهوته أقبل يهتز الرامي إذا قرطس. إذا قوي عزم المجاهدة لأن له الأعداء بلا حرب.

لما قويت مجاهدة نبينا صلى الله عليه وسلم تعدت إلى كل من تعدى، فأسلم شيطانه، اللهم دلنا على قهر نفوسها التي هي أقرب أعدائنا إلينا، وأكثرهم نكاية فينا، يا هذا: بدل اهتمامك بك، واسرق منك لك، فالعمر قليل، تظلم إلى ربك منك، واستنصر خالقك عليك، يأمرك بالجد، وأنت على الضد. تفر إلى الزحف ولكن لا إلى فئة.

تطلب نيل العلى وما ارتقيت درج المجاهدة، أتروم الحصاد ولم تبذر؟؟؟ لولا إيثار " يوسف " (السجن أحب إلي) ماخرج إلى راحة (وكذلك مكنا) رب خفض تحت السرى، وغنى من عنا، ونضرة من شحوب.

لما قوم المؤمنون أنفسهم بالرياضة وقع عقد (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) النفس لم ترض إذا لم ترض، لأنها كلب عقور، وإنما يراد الصيود لا العضوض.

ويحك، الأعضاء كالسواقي، والمياه النجسة في الثمرة، أنت تستفتح النهار بإطلاق الجوارح في صيد اللهو، فإذا حان حين الصلاة نعقت بها وليست معلمة فلا تجيب. هيهات ان يخشع طرف ما قومه محتسب (يغضوا) وأن يحضر قلب ما أزعجه تخويف (يعلم السر وأخفى) .

الناس من الهوى على أصناف ... هذا ناقض العهد وهذا وافي

هيهات من الكدور تبغي الصافي ... ما يصلح للحضرة قلب جافي

الفصل التاسع

ذم الدنيا

أنت في حديث الدنيا أفصح من " سحبان " وفي ذكر الآخرة أعيى من " باقل " تقدم على الفاني، ولا إقدام " بن معد يكرب " وتجبن عن الباقي ولا جبن " حسان " ويحك إنما تعجب الدنيا من لا فهم له، كما أن أضغاث الأحلام تسر النائم، لعب الخيال يحسبها الطفل حقيقة، فأما العاقل فلا يغتر.

كم أتلفت الدنيا بيد حبها في بيداء طلبها، وكم عاقبت عن وصول بلد الوصل، كم ساع سعى إليها سعي الرخ ردته معكوسا رد الفرازين يا أرباب الدنيا: إنها مذمومة في كل شريعة، والولد عند الفقهاء يتبع الأم، متى نبت جسمك عن الحرام فمكاسبه كزيت بها يوقد.

هذا " عمر " مع كماله يقول: يا " حذيفة " هل أنا منهم؟؟ وأنت تأمن مع ذنوبك.". [١]

٢٠-"إذا كان " بنيامين " نسب إلى السرقة، فأي وجه لخلاص يرجى.

رؤي " عمر " بعد موته باثنتي عشرة سنة فقال: الآن تخلصت من حسابي واعجبا أقيم للحساب أكثر من سني الولاية، أفينتبه بهذا راقد الهوى؟.

يا متلطخا بأقذار الظلم، بادر الغسل من مد العوافي قبل أن يجزرك، لا يغرنك عيش أحلى من العسل، فالمحاسبة أمر من العلقم، ستعلم أيها الغريم قدر عزيمك.

إذ يلتقي كل ذي دين وماطله الحجر المغصوب في البناء أساس الخراب، ليت الحلال سلم، فكيف الحرام؟ كان لبان يخلط اللبن بالماء، فجاء سيل فأهلك الغنم، فجعل يبكي ويقول: اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلا.

ولسان الجزاء يناديه " يداك أوكتا وفوك نفخ ".

كم بكت في تنعم الظالم عين أرملة، واحترقت كبد يتيم؟ (ولتعلمن نبأه بعد حين) واعجبا من الظلمة كيف ينسون طي الأيام سالف الجبابرة، وما بلغوا معشار ما آتيناهم، أما شاهدوا مآلهم؟ (فكلا أخذنا بذنبه) أما رحلوا عن أكوار الندم؟ (فما بكت عليهم السماء والأرض) أما صاح هاتف الإنذار؟ (كما تركوا من جنات وعيون) واعجبا للمغترين (وقد خلت من قبلهم المثلات) أما يكفيهم من الزواجر (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) من لهم إذا طلبوا وقت العود؟ (فحيل بينهم وبين ما يشتهون) كم دار بنعم النعم دارت عليها دوائر النقم؟ (فجعلناها حصيدا) ؟ يا معاشر الظلمة: " سليمان " الحكم قد حبس " آصف " العقوبة في سجن (فلا تعجل عليهم) وأجرى الرجاء (لئلا يكون للناس على الله حجة) فلو ذهبت سموم الجزاء من مهب (ولئن مستهم نفحة) لقلعت سكر (إنما نملي لهم) (فلا يستطيعون توصية) .

فالحذر الحذر (أن تقول نفس يا حسرتى) (ولات حين مناص) أبقي في قوس الزجر منزع (أفنضرب عنكم الذكر صفحا)

.

سفينة التقى تحتاج إلى إحكام تام، ولليم منافذ صغار في الدسر، فاحكم تلك البقاع بقار الورع، هيهات قد خرقتها بالكبائر، وما تتنبه لما صنعت حتى يصيح " نوح " الأسى (لا عاصم) يا هؤلاء: فتعاش العدل إذا لم ينتزع شوك الظلم أثر ما لم يؤمن تعديه إلى القلب، لا تعربوا في سكر القدرة، فصاحب الشرطة بالمرصا.

ويحكم، لا تحتقروا دعاء المظلوم، فشرار نار قلبه محمول بريح دعائه إلى سقف بيت الظالم، نباله تصيب، نبله غريب، قوسه حرقه، وتره قلهه، مرماته هدف، (لأنصرنك ولو بعد حين) سهم سهمه الإصابة.

وقد رأيت وفي الأيام تجريب

الفصل العاشر

العمل للآخرة

---

(١) اللطائف ص/٦

إخواني ارفضوا الدنيا فقد رفضت من كان أشغف بها منكم، اتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم، الدنيا خمر ساعدها تغريد طائر الطبع فاشتد سكر الشاربن ففات موسم الريح، ثم بعد الإفاقة يقام الحد، فيقيم قائم الحزن، ويكفي في الضرب فوت الخير فإذا ماتوا انتبهوا.

ويحك، إن الموت سحاب، والشيب وبله، ومن بلغ السبعين اشتكى من غير علة، والعاقل من أصبح على وجل من قرب الأجل، يا هذا: الدنيا وراءك، والأخرى أمامك، والطلب لما وراء هزيمة، وإنما العزيمة في الإقدام، جاء طوفان الموت فاركب سفن التقى، ولا ترافق "كنعان " الأمل، ويحك، انتبه لإغتنام عمرك، فكم يعيش الحيوان حيران؟.

الأسقام تزعج الأبدان فلا بد من النحول ضرورة، كأنك بك في لحدك على فراش الندم، وإنه والله لأخشن من الجندل، فازرع في ربيع حياتك قبل جدوبة أرض شخصك، وادخر من وقت قدرتك قبل زمان عجزك، وأعتد رحلك قبل رحيلك مخافة الفقر في القفر إلى الأزم، الحذار الحذار (أن تقول نفس يا حسرتى) .

الحازم يتزود لما به، قبل أن يصير لمآبه، شجرة الحزم أصلها إحكام النظر، وفروعها المشاورة في المشكل، وثمرتها انتهاز الفرص، وكفى بذهاب الفرصة ندما.

وكم فرصة فاتت فأصبح ربها ... يعض عليها الكف أو يقرع السنا

واعجبا؟ لمضيع العمر في التواني، فإذا جاء متقاضي الروح قال (إني تبت الآن) (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) .". [١]

٢١-"قطاع الطريق ورجعت إلى بيت الأسف بأعدال فارغة فانظر لعله تخلف فيها شيء تعامل به فبقية عمر المؤمن لا قيمة له

(سقيا لزماننا الذي كان لنا ... وافقرى أبعد ذا الفقر غنى)

(مر أسرع ما توقع البين بنا ... واقرب منيتي وما نلت مني)

كان فضالة بن صيفي كثير البكاء فدخل عليه رجل وهو يبكي فقال لزوجته ما شأنه قالت زعم أنه يريد سفرا بعيدا وماله زاد

يا هذا الآخرة دار سكانها الأخلاق الجميلة فصادقوا اليوم سكانها لتنزلوا عليهم يوم القدوم فإن من قدم إلى بلد لا صديق له به نزل **بالعراء يا هذا فنى** العمر في خدمة البدن وحوائج القلب كلها واقفة إنهض إلى التلافي قبل التلف الكلف يداوي قبل أن يصير بهقا والبهق يلاطف قبل أن يعود برصا أما سمعت في بداية الزلل ﴿إذا مسهم طائف﴾ وفي وسطه ﴿كلا بل ران على قلوبهم﴾ وفي آخره ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ أتبكي على معاصيك والاصرار يضحك أتخادع التوبة وإنما تمكر بدينك

(رأيت الناس خداعا ... إلى جانب خداع)

(يعيشون مع الذئب ... ويبكون مع الراعي)

---

(١) اللطائف ص/٧

ويحك حصل كبريت عزيمة قبع أن تقدح نار توبة وقبل نزول الحرب تملأ الكمائن ويحك لا تطمع أن تخرج إلى فضاء قلبك حتى تتخلص من ربقات نفسك كيف لا يفتقر إلى الرياضة لإزالة الكدر من أول غذائه دم الطمث إبك على ظلام قلبك يضيء إذا بكت السحاب إلى الربى تنسمت

يا هذا تسمع بالكيمياء وما رأيته صح قط إجمع عقاقير التوبة في بوتقة العزم وأوقد تحتها نار الأسى على ما سلف فإن تصعد منها نفس أسف صار نحاس نحوسك ذهب سعادة أترى في بستاننا اليوم". [1]

٢٢-"(سيذكرني قومي إذا جد جدهم ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر)

(ولو سد غيري ما سددت اكتفوا به وما كان يغلو التبر لو نفق الصبر)

(ونحن أناس لا توسط عندنا ... لنا الصدر دون العالمين أو القبر)

(تهون علينا في المعالي نفوسنا ... ومن خطب الحسناء لم يغله المهر)

إبتليت الهمم العالية بعشق الفضائل شجر المكاره يثمر المكارم متى لاحت الفريسة قذفت الغابة السبع إذا استقام للجواد الشوط لم يحوج راكبه إلى السوط من ضرب يوم الوغى وجه الهوى بسهم ضرب مع الشجعان يوم القسمة بسهم من اشتغل بالعمارة استغل الخراج إذا طلع نجم الهمة في ظلام ليل البطالة ثم ردفه قمر العزيمة ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ يا طالبا للبدعة أخطأت الطريق علة الراحة التعب إن لم تكن أسدا في العزم ولا غزالا في السبق فلا **تتثعلب يا هذا الجد** جناح النجاة وكسلك مزمن من كد كد العبيد تنعم تنعم الأحرار من امتطى راحلة الشوق لي يشق عليه بعد السفر

(على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم)

يا هذا ركائب الرحيل قد أنيخت بالجناب ولم تتحرج وناقد البايع قائم على الباب ونقدك بهرج كيف يلحق السابقين كسلان أعرج لو تنقلت على عيطموس العزم وهوجاء الطلب وبميسجور القصد وجعلباة السير ومشمعلة الجد ووصلت الديجور بالضحى لانقطعت الديمومة القذف ولكنك استوطأت مهاد الكسل وإبر النحل دون العسل

قيل لبعض أهل الرياضة كيف غلبت نفسك فقال قمت في صف حربها بسلاح الجد فخرج مرحب الهوى بدافع فعلاه علي". [2]

٢٣-"وما تغيرت نعمتي فهتف به **هاتف يا هذا لأيام** الوصال عندنا حرمة حفظناها وضيعتها للمهيار

(سل بسلع سكنا كان وكنا ... ليت شعري ما الذي ألهاك عنا)

(أهوى أحدثته أم كاشح ... دب أم ذنب سرى أم تتجنى)

تاب رجل ممن كان قبلكم ثم نقض فهتف به هاتف في الليل

---

(١) المدهش ص/٢٠٤

(٢) المدهش ص/٢٢٩

(سأترك ما بيني وبينك واقفا ... فإن عدت عدنا والوداد سليم)

(تواصل قوما لا وفاء لعهدهم ... وتترك مثلي والحفاظ قديم)

يا ناقضي العهود أنظروا لمن عاهدتم تلافوا خرق الخطاء قبل أن يتسع

(عودوا إلى العهد عودوا ... فالهجر صعب شديد)

(تذكرونا فما عهدنا ... لديكم بعيد)

(هل يرجع البان يوما ... وهل تعود زرود)

يا هذا أقبل علينا تر من إقبالنا عليك العجب إحفظ الله يحفظك إطلب الله تجده أمامك من كان لنا عينا على قلبه أجرينا له جامكية أمين

(أنت على البعد همومي إذا ... غبت أشجاني على القرب)

(لا أتبع القلب إلى غيركم ... عيني لكم عين وعلى قلبي)

يا هذا حفر النهر إليك وإجراء الماء ليس عليك إحفر ساقية ﴿فاذكروني﴾ إلى جنب بحر ﴿أذكركم﴾ فإذا بالغ فيها معول الكد فاضت عليك مياه البحر في يسمع وبي يبصر إلق بذر الفكر في". [١]

٢٤-"فلم ينفر فإذا وضعت يدك على حجر رأى الجد **ففر يا هذا قولك** أنا تائب من غير عزم نفخ في غير ضرم بيض التراب لا يخرج منه فرخ

أخواني العمر أنفاس تسير بل تطير الأمل منام لا ترى فيه إلا الأحلام هذا سيف الموت قد دنا فإن ضرب قدنا هذا الرحيل ولا زاد عندنا إنتبهوا من رقاد الغفلة تيقظوا من نوم العطلة عرجوا عن طريق البطالة إبعدوا عن ديار الوحشة الفترة حيض الطباع ووقوع العزيمة رؤية النقا فحينئذ يتوجه الخطاب بالتوجه إلى محراب الجد أول منازل الآخرة القبر فمن مات فقد حط رحل السفر وسائر الورى سائر من كان في سجن التقى فالموت يطلقه ومن كان هائما في بوادي الهوى فالموت له حسب يوثقه موت المتعبدين عتق لهم من استرقاق الكد ورفق بهم من تعب المجاهدة وموت العصاة سباء يرقون به لطول العذاب من كان واثقا بالسلامة من جناية فرح بفك باب السجن لما توعد فرعون السحرة بالصلب أنساهم أمل لقاء الحبيب مرارة الوعيد ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ يا فرعون غاية ما تفعل أن تحرق الجسم والركب قد سرى ﴿لا ضير﴾ من لاحت له منى نسي تعب المدرج

للمهيار

(متى رفعت لها بالغور نار ... وقر بذي الأراك لها قرار)

(فكل دم أراق السير منها ... بحكم الشوق مطلول جبار)

لا بد للمحبوب من اختبار المحب ﴿ولنبلونكم﴾ أسلم أبو جندل ابن سهيل فقيده أبوه فلما نزل رسول الله صلى الله عليه

---

(١) المدهش ص/٢٣٤

وسلم الحديبية خرج أبو جندل يرسف في قيده فدخل في الصحابة فقال سهيل". [1]

٢٥-"الفصل الثامن والعشرون

تيقظ **لنفسك يا هذا وانتبه** واحضر عقلك وميز ما تشتبه أما هذا منزلك اليوم وغدا لست به

(إذا ما انجلى الرأي فاحكم به ... ولا تحكمن بما يشتبه)

(ونبه فؤادك من رقدة ... فإن الموفق من ينتبه)

(وأن كنت لم انتبه بالذي ... وعظت به فانتبه أنت به)

لقد أمكنت الفرصة أيها العاجز ولقد زال القاطع وارتفع الحاجز أين الهمم العالية وأين النجايز أما تخاف هادم اللذات والمنى الناجز أما اعوجاج القناة دليل على الغامز أما الطريق طويلة وفيها المفاوز أما القبور قنطرة العبور فمن المجاوز أما يكفي في التنغيص حمل الجنايز أما العدو محارب فهل من مبارز أما الأمن بعيد والهلك ناشز والقنا مشرع والطعن واخز تالله تطلب الشجاعة من بين العجايز وتروم إصلاح فارك وتقويم ناشز إن لم يكن سبق الصديق فلتكن توبة ماعز ما هذه الغفلة والبلى مصيرك وكم هذا التواني فلقد أودى تقصيرك أما صاح بك في سلب نذيرك أفلا تتأهب لقدساء تدبيرك

إب يا شارد الطبع من سفر الهوى وأذب جامد الدمع بنيران الأسى لعل شفيع الإعتراف يسئل في أسير الإقتراف نق عينيك من عيوبك وخلص ذنوبك من بحر ذنوبك وصن صندوق". [2]

٢٦-"الفصل الثاني والثلاثون

يا هذا لو عاينت قصر أجلك لزهدت في طول أملك وليقتلنك ندمك إن زلت بك قدمك

للمتنبي

(إلى كم ذا التواني في التواني ... وكم هذا التمادي في التمادي)

(وما ماضي الشباب بمسترد ... ولا يوم يمر بمستعار)

(متى لحظت بياض الشيب عيني ... فقد وجدته منها في السواد)

(متى ما ازددت من بعد التناهي ... فقد وقع انتقاصي في ازدياد)

إلى متى تحرص على الدنيا وتنسى القدر من الذي طلب ما لم يقدر فقدر لقد أذاك إذ ذاك النصب وأوقعك الحرص في شرك الشرك إذ نصب أتحمل على نفسك فوق الجسد ولو قنعت أراحك الزهد فلماذا تحمل ما آذى ولمن ومن ينفعك إن قتلت **نفسك يا هذا ومن** تحمل على الهم الهم لآمر لو قضى تم أحرصا على الدنيا لا كانت أم شكا في عيوبها فقد بانت

---

(١) المدهش ص/٢٤١

(٢) المدهش ص/٢٤٨

(رأيت ظنوني بها كالسراب ... فأيقنت أن سرابي سرابي)

كم غرت الدنيا فرخها فعرت ثم ذبحته بمدية ما مرت إنها لتقتل صيادها وتقتل أولادها

(عزيز على مهجتي غربي ... وسلم لي الوصل واستسلما)". [١]

٢٧-"من كف شعير يراه الدنيا كلها كجناح بعوضة فما نسبة مصر إليها صبي الفهم يشغله لون الصدفة والمتيقظ يرى **الدرة يا هذا إذا** لاحت لك شهوة فقف متدبرا عواقبها وقد بردت حرارة الهوى فبين النجاة والهلاك فواق واعجبا أنفقت المال المسروق وبقي القطع

(أبكي زللي واشتكي آثامي ... في سفك دمي تقدمت أقدامي)

(ما ابصرت إلا والبلا قدامي ... ما أسرع ما أصاب قلبي الرامي)

ضر والله التخليط آدم ونفعت الحمية يوسف ملك هواه فملك زليخا أمرضها حبه فأرادت تناول مقصودها في زمان الحمية فصاح لسان طبه ﴿معاذ الله﴾ فخلطت في بحران المرض ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن﴾ فلما صح الذهن قالت ﴿الآن حصحص الحق﴾ لما نظر يوسف في عواقب الذنب ونهاية الصبر فكف الكف اطلع بتعليم التأويل على عواقب الرؤيا دخل اليوم موسى وعظى إلى مدينة مدين قلبك فوجد فيها رجلين يقتتلان القلب والهوى فاستغاثه الذي من شيعته وهو القلب على الذي من عدوه وهو الهوى فوكزه موسى فقضى عليه فكان قتل الهوى سببا للخروج من قصر مصر الغفلة إلى شعب شعيب اليقظة فالآن يناديك لسان المعاملة هل لك في بلوغ عرضك على أن تأجرني فإن وفيت انقلبت إلى لذاتك مسرورا واسترجح لك التكليم على طور الجنة فإن صحبت فرعون الهوى غرقت بعبورك يوم أليم". [٢]

٢٨-"(سقيا لمنزلة الحمى وكثيبها ... إذ لا أرى زمنا كأزماني بها)

(ما أعرف اللذات إلا ذاكرا ... هيهات قد خلفت أوقاتي بها)

يا من كان له قلب فانقلب قيام السحر يستوحش لك صيام النهار يسأل عنك ليالي الوصال تعاتبك

(أين أيامك والدهر ربيع ... والنوى معزولة والقرب وال)

يا من كان قريبا فطرد يا من كان مشاهدا فحجب يا عزيزي ما ألفت الشقاء فكيف تصبر أصعب الفقر ما كان بعد الغنى وأوحش الذل ما كان بعد العز وأشدهما على **الكبر يا هذا بت** بيت الأخزان من قبل البيات وثب إلى المثيب وثبة ثبات ولا تجاوز الجناب ودر حول الدار واستقبل قبلة التضرع وقل في الأسحار

(قد قلق الحب وطال الكرى ... وأظلم الجو وضاق الفضا)

(لا يعطش الزرع الذي نبته ... بصوت أنعامك قد روضا)

(إن كان لي ذنب تجرمته ... فأستأنف العفو وهب ما مضى)

---

(١) المدهش ص/٢٦٢

(٢) المدهش ص/٢٧٣

(لا تبر عودا أنت ريشته ... حاشى لباني المجد أن يقضا)

(كيف لا أبكي لاعراض من ... أعرض عني الدهر إذ عرضا)

(قد كنت أرجوه لنيل المنى ... فاليوم لا أطلب إلا الرضا)

يا من فقد قلبه وعدم التحيل في طلبه تنفس من كرب الوجد فبريد اللطف يحمل الملطفات ريح الأسحار ركابي الرسائل ونسيم الفجر ترجمان الجواب

للمهيار

(فيا ريح الصبا اقترحي ... على الأحشاء واحتكمي)". (١)

٢٩-"عرفتم شرور اعطان الهوى فرحلتم طالبين ريف التقى فحتوا مطايا الجد ﴿ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون﴾ كلما شرف المطلوب طالت طريقه الهرة تحمل خمسين يوما والخنزيرة أربعة أشهر والخف والحافرة سنة فأما الفيل فسبع سنين عموم الشجر يحمل في عامه والصنوبر بعد ثلاثين سنة شرف النسل يوجب القلة الشاه تلد واحدا أو اثنين والخنزيرة تلد عشرين وأم الصقر مقلات **نزور يا هذا ينبغي** أن تكون همتك على قدرك ولك قدر عظيم لو عرفته إنما خلقت الداران لأجلك أما الدنيا فلتتزود وأما الأخرى فلتتوطن أفتراك تعرف مكانة ﴿أذكركم﴾ أو قيمة ﴿يحبهم﴾ أو مرتبة وإنا إلى لقائهم أشد شوقا تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا إذا صعدت الملائكة عن مجلس الذكر قال الحق أين كنتم فيقولون عند عباد لك يسبحونك ويمجدونك فيقول ما الذي طلبوا ومما استعاذوا

(يا من يسائل عني القادمين إذا ... ما كنت بي هكذا صبا فكيف أنا)

يا من كان في رفقة ﴿تتجافى﴾ فصار اليوم في حزب أهل النوم

للشريف الرضى

(يا ديار الأحباب كيف تغيرت ... ويا عهد ما الذي أبلاكا)

(هل تولى الذين عهدي بهم فيك ... على عهدهم وأين أولاكا)

(الذميل الذميل يا ركب إني ... لضمين أن لا تخيب سراكا)". (٢)

٣٠-"برد النفس بالهوى لحظة أثمر حرارة القلق ألف سنة فاعتبروا سالت من عينيه عيون إستحالت من الدماء دموع شغلته عن لذات الدنيا هموم

للمهيار

(هل بعد مفترق الأظعان مجتمع ... أم أهل زمان بهم قد فات مرتجع)

(تحملوا تسع البيداء ركبهم ... ويحمل القلب منهم فوق ما يسع)

---

(١) المدهش ص/٢٨٢

(٢) المدهش ص/٣٤٨

(الليل بعدهم كالهجر متصل ... ما شاء والنوم مثل الوصل منقطع)

(اشتاق نعمان لا أرضى بروضته ... دارا وإن طاب مصطاف ومرتبع)

كان آدم كلما عاين الملائكة تنزل تذكر المرتبع في الربع فتأخذ العين أعلى في إعانة الحزين

(رأى بارقا من نحو نجد فراعه ... فبات يسح الدمع وجدا على نجد)

(هل الأعصر اللاتي مضين يعدن لي ... كما كن لي أم لا سبيل إلى الرد)

ما أمر البعد بعد القرب ما أشد الهجر بعد الوصل يا مطرودا بعد التقريب أبلغ الشافعين لك البكاء

للمتنبي

(وكيف التذاذي بالأصائل والضحى ... إذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبا)

(ذكرت به وصلا كأن لم أفز به ... وعيشا كأني كنت أقطعه وثبا)

كان لقوم جارية فأخرجوها إلى النخاس فأقامت أياما تبكي ثم بعثت إلى ساداتها تقول بحرمة الصحبة ردوني فقد **ألفتكم** **يا هذا قف** في الدياجي وامدد يد الذل وقل قد كانت لي خدمة فعرض تفريط أوجب البعد فبحرمة قديم الوصل ردوني فقد ألفتكم". (١)

٣١-"(عندي من الدمع ما لو كان وارده ... مطي قومك يوم الجزع ما نزحا)

(غادرن أسوان ممطورا بعبرته ... ينحو مع البارق العلوي أين نحا)

(هل تبلغنهم النفس التي تلفت ... فيهم شعاعا أو القلب الذي قرحا)

(إن هان سفح دمي بالبين عندهم ... فواجب أن يهون الدمع إن سفحا)

كان يحيى بن زكريا يبكي حتى رق جلدة خده وبدت أضراسه هذا وقد كان على الجادة فكيف بمن ضل واعجبا من بكائه وما ثم مأتم فكيف بمن ما أنقضى يوم إلا ومأتم ما **تم يا هذا إن** كان قد أصابك داء داود فنح نوح تحي حياة يحيى

(لا تحسبن ما العيون فإنه ... لك يا لديغ هواهم درياق)

(شنوا الإغارة في القلوب بأسهم ... لا يرتجى لأسيرها إطلاق)

(واستعذبوا ماء الجفون فعذبوا ... الأسرار حتى درت الأماق)

كان عمر بن عبد العزيز وفتح الموصلي يبكيان الدم وقليل في جنب ما نطق به لسان الوعيد إذا خلا الفكر باليقين ثارت عجاجة الدمع فإذا أقرح الحزن القلب استحالت الدموع دما

للمهيار

(أجارتنا بالغور والركب متهم ... أيعلم خال كيف بات المتيم)

(بنا أنتم من ظاعنين وخلفوا ... قلوبا أبت أن تعرف الصبر عنهم)

---

(١) المدهش ص/٣٦١

(ولما انجلى التوديع عما حذرته ... ولم يبق إلا نظرة تتغنم)

(بكيت على الوادي فحرمت ماءه ... وكيف يحل المرء أكثره دم)

واعجبا أطار حكم حديث العذيب وأنتم من وراء النهر يا منقطعين عن الأحباب تعالوا نمشي رفقة فمجمعنا مأتم الأسى موعدنا مقابر الأسف". (١)

٣٢-"الفصل الحادي والثمانون

يا من أنفاسه عليه معدودة وأبواب التقى في وجهه مسدودة وأعماله بالرياء والنفاق مردودة غير أن محبة التفريط معه مولودة

(حياتك أنفاس تعد فكلما ... مضى نفس منها انتقصت به جزءا)

(فتصبح في نقص وتمسي بمثله ... أمالك معقول تحس به رزءا)

(يميتك ما يحييك في كل ساعة ... ويحدوك حاد ما يريد بك الهزءا)

كم أسرعت فيما يؤذي دينك ودأبت كم خرقت ثوب إيمانك وما رأبت كم فرقت شعب قلبك وما شعبت كم فاتك من خير وما اكتأبت يا كاسب الخطايا بئس ما كسبت جمعت جملة من حسناتك ثم اغتبت وحصن دينك ثلمت لما ثلبت وأنت الذي بددت ما حلبت إن لاح لك أخوك عبته وإن لاحى سببته

يا عقرب الأذى كم لدغت كم لسبت تعلم ان مولاك يراك وما تأدبت تؤثر ما يفنى على ما يبقى ما أصبت تصبح تائبا فإذا أمسيت كذبت تمشي مع اليقين فإذا قاربت انقلبت تعمر ما لا يبقى وما يبقى خربت تأنس بالدنيا وغرورها وقد جربت كأنك بك في القبر تبكي ما كسبت لقد حسبت حسابا كثيرا وهذا ما حسبت

يا وادي الشيخ كيف يقال لو **أعشبت يا هذا أكثر** الأنعام عليك كف كف فضول الدنيا عنك إذا رأيت سربال الدنيا قد تقلص فاعلم أنه قد لطف بك لأن المنعم لم يقلصه عليك بخلا أن يتمزق لكن رفقا بالماشي أن يتعثر أحرم عن الحرام بنزع مخيط الهوى لعل جذب القدر يقارن ضعف كسبك". (٢)

٣٣-"يبقى أو تتنفس أسفا على ما يفنى أو تبذل مهجة لصورة عن قليل تمحى أو تتكلم في حصول ما يشين ويتوى واعجبا من مجنون بلا ليلى ويحك دمعة فيك تطفي غضبنا وقطرة من دم في الشهادة تمحو زللك ونفس أسف ينسف ما سلف وخطوات في رضانا تغسل الخطيات وتسبيحة تغرس لك أشجار الخلد ونظرة بعبرة تثمر الزهد في الفاني ولكن تصحيح النقد شرط في العقد سلع ﴿وإني لغفار﴾ لا تباع إلا بدينار ﴿لمن تاب﴾ إذا كان خارجا من سبيكة ﴿وآمن﴾ عن سكة ﴿وعمل صالحا﴾ من دار ضرب ﴿ثم اهتدى﴾

يا هذا لو استشعرت زرمانقة الزهد تحت مطرف رب أشعث أغبر وسحت في بادية يدفعون لأفضنا عليك خلع ﴿إذا ذكر

---

(١) المدهش ص/٣٧٧

(٢) المدهش ص/٤٥٣

الله﴾ يا هذا إن لم تقد على كثرة العمل فقف على باب الطلب تعرض بجذبة من جذبات الحق ففي لحظة أفلح السحرة

(لا تجزعن من كل خطب عرا ... ولا ترى الأعداء ما تشمت)

(يا قوم بالصبر ينال المنى ... إذا لقيتم فئة فاثبتوا)

طريق الوصول صعبة وفي رجلك ضعف ويحك دم على السلوك تصل أول النخلة السحوق فسيلة بداية الآدمي الشريف مضغة ثمن المعالي جد الطلب والفتور داء مزمن بلد الرياضة سحيق ﴿لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾ سحابة الصيف أثبت من قولك والخط على الماء أبقى من عهدك

(من السلوة في عينيك ... آيات وآثار)

(أراها منك بالذهن ... وفي الألباب أبصار)

(إذا ما برد القلب ... فما تسخنه النار)

يا هذا إذا حضر قلبك فنسيم الريح يذكرك وإن غاب فمائة ألف نبي لا يوصلون التذكرة إليك تالله لقد ألمعنا المعنى وما ألزمنا الزمنى

(ولي ألف باب قد عرفت سبيله ... ولكن بلا قلب إلى أين أذهب)". [١]

٣٤-"الفصل الثامن والثمانون

أخواني أيام العافية غنيمة باردة وأوقات السلامة لا تشبهها فائدة فتناول ما دامت لديك المائدة فليست الساعات الذاهبات بعائدة

(مضى أمسك الماضي شهيدا معدلا ... واتبعه يوم عليك شهيد)

(فإن تك بالأمس اقترفت إساءة ... فبادر بإحسان وأنت حميد)

(ولا تبق فعل الصالحات إلى غد ... لعل غدا يأتي وأنت فقيد)

(إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت ... حميمك فاعلم أنها ستعود)

كأنكم بالقيامة قد قامت وبالنفس الأمارة بالسوء قد لامت وانفتحت عيون طال ما نامت وتحيرت قلوب العصاة وهامت

(غدا توفى النفوس ما كسبت ... ويحصد الزارعون ما زرعوا)

(إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم ... وإن أساءوا فبئس ما صنعوا)

شبكة الحساب ضيقة الأعين لا يعبرها شيء وكيل المطالبة خصم ألد أينطق بأقل عذرك بين يدي سحبان المناقشة كلا أيقن **بالسجن يا هذا إنك** لم تزل في حبس فأول الحبوس صلب الأب والثاني بطن الأم والثالث القماط والرابع المكتب والخامس الكد على العيال والسادس الموت والسابع القبر فإن وقعت في الثامن نسيت مرارة كل حبس

(١) المدهش ص/٤٧٦

يا هذا إدخل حبس التقوى باختيارك أياما ليحصل لك الإطلاق في الأغراض على الدوام ولا تؤثرن إطلاق نفسك فيما تحب فإنه يؤثر حبس الأبد في النار إلى متى تسجن عقلك في مطمورة هواك". (١)

٣٥-"طوبى لمن وصل، يا منقطعين فوز لمن قبل، يا مطرودين يا مسكين لو أرادوا قربك لاستخدموك، لو تذللت لهم لرحموك، لكنك أعرضت عنهم فتركوك، ولم تأت على المقصود فأبعدوك، وعن بابهم وفضلهم طردوك، فإن أردت قربهم فابك على نفسك وقد قبلوك.

لو بكت **عيناك يا هذا دما** ... ما تقدمت إلينا قدما

نح علينا أسفا أو لا تنح ... واقرع السن علينا ندما

إخواني! إياكم وفرعون الهوى فإنه يصلب القلوب على جذوع النخل، قد قست القلوب فصارت كالحديد فقربوها إلى نار المواعظ، ودعوني أنفخ كير التخويف حتى يحمى، وإلا فما ينفع الضرب في،حديد بارد؟!.

دوبيت:

يا غاية منيتي وأقصى طلبي ... ما أسرع ما طردتني واعجبي

لم أقض على ظماي منكم إربي ... حتام أعيش بالمنى واحربي

يا غافلين عن الحق وقد فتح بابه، تعرضوا للقلوب فهذا وقت أجابه، خرج كمين من عسكر اللطف فتح بابا من أبواب القرب، هزت شجرات الوصل فتساقطت ثمر الأنس هذا منادي الاستدعاء قد كبر، هذه بلابل الوصال قد صاحت، هذهأعلام القبول قد لاحت.

ما زار طيفك إلا قلت واطربا ... ولا انثنى راجعا ناديت واحربا

ولا ترنم قمري على فنن ... يشكو التلهف إلا زادني طربا

أفدي الغزال الذي بالجزع غازلني ... يوما على خيفة من أعين الرقبا

يا ليلة السفح من وادي الأراك لنا ... عودي كما كنت قدما في قباب " قبا "

واسترجعي طيب أيام لنا سلفت ... فأطيب العيش يوما رد ما ذهبا

إخواني! إياكم والذنوب فإنها أذلت اباكم بعد عز " اسجدوا "، وأخرجته من إقطاع (اسكن أنت وزوجك) .

واعجبا جبريل بالأمس يسجد له واليوم يجر بناصيته للإخراج ولسان حاله يقول ارفق بي:

أرفقوا بي رفق من ذاق الهوى ... لا تذيبوا بجفاكم جلدي

أخذكم للروح مني هين ... إنما المحنة ترك الجسد

أعظم الظلمة ما تقدمها ضوء، وأصعب الهجر ما تقدمه وصل، وأشد عذاب المحب تذكاره وقت القرب، في المعنى:

إني لأذكركم فتذهب غلتي ... عني، وأذكر فقدكم فتعود

---

(١) المدهش ص/٤٨١

واشد من مرضي علي صدودكم ... وفراق من أهوى علي شديد
أقسمت لا علق الفؤاد بغيركم ... ما دام في الشجر المورق عود
من عرف قدر ما يطلب هان عليه ما يبذل، من عرف قدر ما يطلب " بياض " من قلق، من ذاق طعم الوصال ثم هجر تلف، ما أمر طعم الفراق.
ولم تعد أوجه اللذات سافرة ... مذ أدبرت باللوى أيامنا الأول
كان آدم عليه السلام إذا رأى الملائكة،تنزل من السماء تذكر المرتع في المربع فتأخذ العين في إعانة الحزين. شعر في المعنى:
رأى بارقا من أرض نجد فراعه ... فبات يسح الدمع وجدا على نجد
فيا شجرات القاع من بطن وجرة ... سفاك هزيم الودق منبجس الرعد
هل الأعصر اللاتي مضين يعدن لي ... كما كن لي أم لا سبيل إلى الرد
واعجبا لقلق آدم ولا معين له على الحزن، هوام الأرض لا تفهم ما يقولى، والوحش لا تدري وملائكة السماء عندها بقايا من يوم (أتجعل فيها من يفسد فيها) فهو يجول في كربة بلا م معين ولا راحم إلى أن يتداركه مولاه بلطفه.
ألا راحم من آل ليلى فأشتكي ... غرامي له حتى يكل لساني
ترى بكى آدم لفراق الجنة، هيهات! ما كان هذاالقلق لنفيس الداربل لربئ الدار، عجبا لآدم لما غفر الله له طاف بالبيت أسبوعا فما أتمه حتى خاض في دموعه، كان يبكي للدار مرة وللجار ألفا، والفراق يقلقل، والبعاد يزلزل، والشوق يململ، والهوى يقتل.
وإني لمشتاق إلى طيب وصلكم ... كما اشتاق نحو الدار من طال لفته
ولم أبك بعد الدار عني وإنما ... بكيت لفقد الصبر حتى فقدته". (١)

٣٦-"الفصل الخامس

إخواني: قيدوا هذه النفوس بزمام، وازجروا، هذه القلوب عن الآثام، واقرؤوا صحف العبر بألسنة الأفهام. يا من أجله خلفه وأمله قدام، يا مقتحما على الجرائم أي اقتحام، انتبهوا يا نوام، كم ضيعتم من أعوام، الدنيا كلها منام، وأحلى ما فيها أضغاث أحلام، غير أن عقل الشيخ فيها الغلام، فكل من قهر نفسه فهو الهمام. هذه الغفلة قد تناهت، والمصائب قد تدانت، فإنا لله وإنا إليه راجعون، والسلام.
مر عيسى عليه السلام على قرية، فوجد كل من فيها أمواتا، وهم مطروحون على وجوههم في الأزقة، فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك، وقال: يا معشر الحواريين، إن هؤلاء القوم قد ماتوا على سخط وغضب، ولو ماتوا على رضا من الله، لدفن بعضهم بعضا. فقالوا: يا روح الله، وددنا أن نعرف قضيتهم وخبرهم. قال: فسأل الله عز وجل في ذلك، فأوحى الله إليه: إذا كان الليل نادهم، فإنهم يجيبونك.

---

(١) المنثور ص/٧

فلما كان من الليل، صعد عيسى على شرف ونادى: يا أهل القرية، فأجابه مجيب من بينهم: لبيك يا روح الله، فقال: ما قضيتكم، وما خبلاكم؟ فقال: يا روح الله، بتنا في عافية، وأصبحنا في هاوية. قال: ولم ذلك؟ قال: لحبنا في الدنيا، وطاعة لأهل المعاصي، ولم نأمر بالمعروف، ولم ننه عن المنكر. فقال له عيسى عليه السلام: كيف كان حبكم للدنيا؟ قال: كحب الصبي لأمه؛ إذا أقبلت فرحنا، وإذا أدبرت جزنا وبكينا. فقال له عيسى عليه السلام: يا هذا: ما بال أصحابك لم يجيبوني؟ قال: إنهم ملجمون بلجام من النار بأيدي ملائكة غلاظ شداد. قال: وكيف أجبتني أنت من بينهم؟ قال: إني كنت فيهم، ولم أكن منهم، فلما نزل بهم العذاب". (١)

٣٧-"قال: فبادرت إليه حتى بقي بيني وبينه مقدار ذراع، وإذا به بعد عني حتى غاب عن عيني، فقلت: هذا شيطان وإذا به ينادي: لا بل سكران.

فناديته: يا هذا بالذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق إلا ما وقفت علي.

فقال لي: يا فتى أتعبتني وأتعبت نفسك.

فقلت له: رأيتك وحدك، فأردت خدمتك.

قال لي: من يكن الله معه، كيف يكون وحده؟!.

فقلت له: ما أرى معك زادا.

فقال لي: إذا جعت فذكره زادي، وإن عطشت فمشاهدته سؤلي ومرادي.

فقلت له: أنا جائع فأطعمني.

فقال: أولم تؤمن بكرامات الأولياء.

فقلت: بلى، ولكن ليطمئن قلبي، فضرب بيده الأرض، وكانت أرض رملة، ثم قبض قبضة، وقال: كل يا مخدوع، وإذا هو سويق ألذ ما يكون.

فقلت: ما ألذه!.

فقال لي: في البادية عند الأولياء من هذا كثير لو عقلت.

فقلت له اسقني، فركض برجله الأرض، فإذا هو بعين من عسل وماء، فجلست لأشرب من تلك العين، ثم رفعت رأسي، فلم أره، ولم أدر كيف غاب، ولا أين ذهب، فأنا أخدم الفقراء من ذلك اليوم إلى الآن، لعلي أرى مثل ذلك الولي.

يا هذا، إلى متى تسمع أخبارهم ولا تقفو آثارهم، اطلب رفقة التائبين عساك لطريقهم ترشد، اندب على بعادك يا مطرود، فمثلك من بكى وعدد، اعتذر يا مهجور، عساك بالذل تسعد، وقل بلسان التذلل والأسف والكمد:". (٢)

---

(١) بحر الدموع ص/٣٠

(٢) بحر الدموع ص/٥١

٣٨-"جارية نصرانية، فافتتن بها، فامتنعت عليه، فقالت: لا أتزوجك حتى تدخل في ديني، فلما طالت المدة، وزاد به الأمر جبذته شهوته، ثم غلبت عليه شقوته، فأجاب إلى ذلك، وبريء من دين الحنيفية.

فلما صار نصرانيا، وكان منه ما كان، خرجت المرأة من خف الستر، وقالت: يا هذا، لا خير فيك، خرجت من دينك الذي صحبته عمرك من أحل شهوة لا قدر لها، لكن أنا أترك دين النصرانية طلبا لنعيم لا يفنى عني طول الأبد في جوار الواحد الصمد، ثم قرأت: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾ سورة الإخلاص.

فتعجب الناس من أمرها، وقالوا لها: أكنت تحفظين هذه السورة قبل هذا؟! قالت: لا والله ما عرفتها قط، ولكن هذا الرجل لما ألح علي، رأيت في النوم كأني دخلت النار، فعرض علي مكاني منها، فارتعبت وخفت خوفا شديدا، فقال لي مالك: لا تخافي ولا تحزني، فقد فداك الله بهذا الرجل منها، ثم أخذ بيدي، وأدخلني الجنة، فوجدت فيها سطرا مكتوبا. فقرأته، فوجدت فيه ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ الرعد ٣٩. ثم أقرأني سورة الإخلاص، فأقبلت أرددها، ثم انبتهت وأنا أحفظها.

قال الحسن: فأسلمت المرأة، وقتل الشيخ على ردته نصرانيا. نسأل الله العافية.". (١)

٣٩-"الفصل الموفى عشرين

يا أسيرا في قبضة الغفلة، يا صريعا في سكرة المهلة، يا ناقض العهد، انظر لمن عاهدت في الزمن الأول، أكثر العمر قد مضى، وانت تتعلل، يا مدعوا إلى نجاته وهو يتوانى، ما هذا الفتور والعمر قد تدانى، كأنك بالدمع يجري عند الموت هتانا. يا أخي ما أحسن ما كنت فتغيرت، ما أقوم جادتك، فكيف تعثرت؟ يا معاشر المطرود عن رفاق التائبين ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ النمل ٧٥.

كان بعض الأغنياء كثير الشكر فطال عليه المد، فبطر وعصى، فما زالت نعمته ولا تغيرت حالته، فقال: يا رب، تغيرت طاعتي، وما تغيرت نعمتي، فهتف به هاتف يقول: يا هذا: إن الأيام الوصال عندنا حرمة وذمام، حفظناها نحن لك، وضيعتها أنت لنا.

وأنشدوا:

سأترك ما بيني وبينك واقفا ... فإن عدت عدنا والوداد سليم

تواصل قوما لا وفاء بعهدهم ... وتترك مثلي والحفاظ قديم

قال رجل لحاتم الأصم رضي الله عنه: أوصني بشيء أتصل به إلى باب الله سبحانه وتعالى، فقد عزمت على سفر الحج.

فقال: يا أخي، إن أردت أنيسا، فاجعل القرآن أنيسك، وإن أردت رفيقا، فاجعل الملائكة رفقاءك، وإن أردت حبيبا، فالله سبحانه يتولى قلوب أحبابه، وإن أردت الزاد، فاليقين بالله سبحانه وتعالى نعم الزاد، واجعل البيت قبلة وجهك، وطف

---

(١) بحر الدموع ص/٧٧

بسرك حوله.". (١)

٤٠-"مد عليهم أطناب ليل الخلوة غيرة من رقيب الرقاد، فهم يتشاكون الشواق بنفس تلف في محبة أو كاد.
والمحروم نهاره في الشقا وليله في النوم، وعمره في نفاد ركب مركب القضاء للمحنة، ففي أصل تركيبة فساد. ضيع أيامه في الغفلة، وفي الكبر يبكي على فائت لا يعاد.
فيا معشر المذنبين جدوا قبل الرحيل عن الأجساد.
قال يوسف بن الحسن: كنت أسير في طريق الشام، إذ عرض لي عارض، فعدلت عن الطريق فهالتني المفازة (رحمه الله١) ، فبدت لي صومعة، فدنوت منها، وإذا براهب فيها قد أخرج رأسه منها، فأنست به، فلما دنوت منه، قال لي: يا هذا، أتريد موضع صاحبكم؟.
قال: رجل في هذا الوادي على دينكم، متخل عن فتنة الأقران، منفرد بنفسه في ذلك المكان، واشوقاه إلى حديثه!.
فقلت له: وما الذي يمنعك عنه، وأنت على قرب منه؟.
فقال: أصحابي أقعدوني في هذا الموضع، وأنا أخشى على نفسي القتل منهم، ولكن إذا مضيت إليه فأقرئه مني السلام، وأساله لي في الدعاء.
قال: فمضيت إليه، وإذا برجل قد اجتمعت إليه الوحوش، فلما رآني قرب مني وكنت أسمع جلبة عظيمة للقوم، ولا أرى أحدا منهم، فسمعت قائلا يقول: من هذا البطال الذي وطئ محل العاملين؟.
فرأيت رجلا منكسا رأسه مسترسلا في كلامه، تعلوه هيبة ووقار شديد. فسمعته
رحمه الله______________
(رحمه الله١) مفازة: صحراء.". (٢)

٤١-"بلا خوف ولا حزن والله تعالى أعلم
وأنشدوا
(عني إليك فما اللذات من شغلي ... ولا سبيل الصبا واللهو من سبلي)
(حال التقى دون ما قد كنت تعرفه ... فلست منه على زيغ ولا زلل)
(في الحشر لي شغل عن كل مشتغل ... بلذة وعن الألحاظ والمقل)
(هذا إطار الكرى عن مقلتي وزوى ... عني المنى وطوى المبسوط من أملي)
(كم ليلة بت فيها ساهرا أرقا ... أخشى العقاب وأخشى سرعة الأجل)
قال الله تعالى ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم

(١) بحر الدموع ص/٨٨
(٢) بحر الدموع ص/١٠٠

الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾ آل عمران ٣٠ رؤوف والله بالمؤمنين ذو نقمة على الظالمين رؤوف بأهل الإحسان وذو انتقام من أهل العصيان رؤوف بأهل السداد وذو انتقام من أهل العناد يا مغرور تفكر في هذه الآية فلك فيها من التخويف غاية ومن الزجر والتقريع نهاية فازجر نفسك عن هواها عساك تبلغها يوم العرض مناها

١٧٥ - حكاية عن ذي النون المصري

حكي عن ذي النون المصري بن إبراهيم الأخميمي رحمه الله تعالى عليه أنه قال خرجت مرة من المرات إلى ناحية الأردن من أرض الشام فلما علوت الوادي فإذا أنا بسواد قد اقبل وهو يقول ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ الزمر ٤٧ فلما قرب مني السواد إذا هو شخص فتأملته فإذا هو امرأة عليها جبة صوف وخمار من صوف وبيدها ركوة وبيدها الأخرى عكاز فقالت لي غير فازعة مني من أنت فقلت لها رجل غريب **فقالت يا هذا وهل** يوجد مع الله غربة وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء فاجعله أنيسك إذا استوحشت وهاديك إذا ضللت وصاحبك إذا احتجت

قال ذو النون فبكيت من كلامها فقالت مم بكاؤك قلت لها وقع دواؤك على دائي وأنا أرجو أن يكون سببا لشفائي قالت فإن كنت صادقا في مقالتك فلم بكيت قلت لها رحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا قلت لها لم لا يبكي الصادق قلت لأن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه وما كتم القلب أحر من الزفير والشهيق وذلك ضعيف عند أوليائه قال ذو النون فبقيت والله متعجبا من قولها فقالت لي مالك قلت أنا والله متعجب من قولك قالت وهل نسيت القرحة التي ذكرتها قال". (١)

٤٢-"أعجب منه أمرت بقبض روحه في ذلك اليوم بجزائر الهند وهو عندك بالشام

فقبض روحه في ذلك اليوم بالهند

وأنشدوا

(الموت بحر يهاب المرء مورده ... وكل يوم له من كأسه جرع)

(لا صحة المرء في الدنيا تؤخره ... ولا يقدم يوما موته الوجع)

(وكل يوم علينا في فجائعه ... طير يحوم فلا ندري بمن يقع)

٢٦٥ - سعيد بن المسيب والجني

روي أن سعيد بن المسيب دخل يوما مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يلتفت في أركان المسجد يتفكر فيمن أدرك من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم بكى وجعل يقول

(ألا ذهب الحماة واسلموني ... فوا اسفا على فقد الحماة)

(تولوا للقبور فاسقموني ... فوا اسفا على فقد الثقاة)

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/١٠٣

فأجابه هاتف من ركن المسجد بصوت محزون من كبد مشجون وهو يقول

(فدع عنك الثقاة فقد تولوا ... ونفسك فابكها حين الممات)

(فكل جماعة لا بد يوما ... يفرق بينهم وقع الشتات)

فقال سعيد من أنت فقد زدتني حزنا فقال أنا من مؤمني الجن كنا في هذا المسجد سبعين رجلا فأتى الموت على جماعتنا كما أتى على جماعتك ولم يبق منهم غيري كما لم يبق من الإنس غيرك وإنا بهم لاحقون فإنا لله وإنا إليه راجعون وأنشدوا

(جرت الرياح على جميع ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعاد)

(فأرى النعيم وكل ما يلهى به ... يوما يصير إلى بلى ونفاد)

٢٦٦ - صلحاء الجن

وذكر عن بعض العباد أنه كان يصلي فقرأ هذه الآية ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ آل عمران ١٨٥ الأنبياء ٣٥ العنكبوت ٥٧

وجعل يتدبرها ويرددها فسمع قائلا **يقول يا هذا كم** تردد هذه الآية فوالله لقد قتلت بها أربعة من الجن ما رفعوا رؤوسهم إلى السماء قط حياء من الله تعالى ولقد ماتوا من ترديدك هذه الآية

وأنشدوا". (١)

٤٣-"(أراني في انتقاص كل يوم ... ولا يبقي على النقصان شيء)

(طوى العصران ما نشراه مني ... فأتلف جثتني نشر وطي)

(فإن أك قد فنيت ومات بعضي ... فإن الحرص باق في حي)

(وطير الموت حائمة لقتلي ... مدلاة علي وفي عي)

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من أكثر الفكرة في الموت هون الله عليه سكراته وجعله منه على حذر ومن غفل عن ذكره يوشك أن يأتيه فجأة على غير أهبة ولا استعداد) فالله الله قد انصرمت عنكم أعماركم وأنتم لا تشعرون فإن اتبعتم هموم الدنيا حتى تفرغ فإنها لا تفرغ أبدا ولو عشتم إلى أن تنقرض الدنيا

فتفرغ يا مسكين في اليسير من الأيام وادرك أمرك مع مولاك قبل نزول الحمام

٣٠٨ - المبادرة بالتوبة

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (أيها الناس بادروا بالتوبة قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الزاكية قبل أن تشغلوا وصلوا الذي بينكم وبينه بكثرة ذكركم إياه)

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/١٥٤

٣٠٩ – السني والزنديق

ذكر في بعض الحكايات أن رجلا من أهل السنة لقي رجلا زنديقا قد نحل جسمه وتغير لونه واذابه الخوف وكان السني قويا سمينا فقال له **الزنديق يا هذا صف** لي بعض ما تعتقده فقال أعتقد الموت وغصصه وسكراته وأهواله
فلما سمع الزنديق مقالته صاح صيحة عظيمة ثم وقع على وجهه مغشيا عليه فمكث ما شاء الله ثم أفاق فقال له زدني فقال ثم من بعد الموت القبر وظلمته واللحد وضجعته ومنكرا ونكيرا قال وما منكر ونكير فقال ملكان أسودان أزرقان يطآن في شعورهما ويحفران الأرض بأنيابهما وبيد كل ملك منهما عمود من حديد جهنم لو ضرب به جبال الدنيا لقلعها من أصولها يسألان العبد في قبره قال وثم ما بعد ذلك قال هول البعث والنشور والحساب والميزان والصراط قال وما الصراط قال هو جسر منصوب على جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف وأحر من الجمر عليه حسك وكلاليب قد تعلق بكل كلوب عدد نجوم السماء من الزبانية لو أذن الله لواحد منهم أن يخرج إلى الدنيا لاحرق بحارها وجبالها وإنسها وجنها". (١)

٤٤-"(لا فخر إلا فخر أهل التقى ... غدا إذا ضمهم المحشر)

٣٣٧ – موعظة للبهلول

حكي عن بعض السادات أنه قال نظر إلي بهلول وأنا أبني دارا فقال لمن هذا الدار فقلت لرجل من كبار أهل الكوفة فقال أرنيه فأريته إياه **فناداه يا هذا لقد** تعجلت الجناية قبل العناية إسمع إلى صفة دار كونها العزيز أساسها المسك وبلاطها العنبر اشتراها عبد أزعج للرحيل كتب على نفسه كتابا وأشهد على عقد ضمائره شهودا هذا ما اشترى العبد الجافي من الرب الوافي اشترى منه هذه الدار بالخروج من ذل الطمع إلى عز الورع فما أدرك المشتري من درك فيما اشتراه فعلى المولى خلاص ذلك
شهد على لك العقد وهو الأمن والخواطر وذلك في إدبار الدنيا وإقبال الآخرة ولهذا الدار حدود أربع فالحد الأول ينتهي إلى مبادئ الصفا والحد الثاني إلى ترك أخلاق الجفا والحد الثالث ينتهي إلى مدارج أهل الوفا والحد الرابع ينتهي إلى السكون والتسليم والرضا في جوار من على العرش استوى ولهذا الدار شارع ينتهي إلى دار الخلد والسلام وخيام قد ملئت بالولدان والخزام ليس فيها أسقام ولا ضر ولا آلام ولا يذوق ساكن هذه الأماكن سكرات الحمام
يا لها من دار لا ينقضي نعيمها ولا يبيد كريمها دار أسست فجعل من الدر والياقوت شرف تلك الحدود وجعل بلاطها من البهاء والنور ومليء خيامها من جوار بهن كمل السرور من العين الحور ليس لهن سوى الدين والتقوى مهور فترك الرجل قصره وتاب إلى الله عز وجل وهام على وجهه وجعل البهلول ينادي خلفه ويقول
(يا ذا الذي طلب الجنان لنفسه ... لا تهربن فإنه يعطيكا)
وأنشدوا

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/١٨٣

(طاب المقام وطاب فيه نعيمه ... في دار عدن والجليل يراه)
فالله الله يا عباد الله لا تغتروا ببناء الدور وتشييد القصور فعما قليل تخرب وتخرجون منها إلى ضيق اللحود وظلمات القبور وأنشدوا
(سلام على أهل القبور الداورس ... كأنهم لم يجلسوا في المجالس)". (١)

٤٥-"نهاره بالغيبة وقبح الكلام وتغفلوا في ليله عن طول القيام وتفطروا فيه على السحت والحرام
وتصوموا بجارحة واحدة وتهملوا سائر جوارحكم في المعاصي والآثام فاتقوا الله إن الله عزيز ذو انتقام
وأنشدوا
(أتعصي بعد شيب الراس جهلا ... كما قد كنت تعصيه غلاما)
(أراك من التهاون لا تبالي ... ولا ترعي الصلاة ولا الصياما)
(وتفرح بالفطور ولا تبالي ... حلالا كان كسبك أم حراما)
عباد الله اغتنموا بركة هذا الشهر العظيم المخصوص بالتفضيل والتكريم الذي بلغنا الله إليه في صحة من الأجسام وسلامة من عوارض الأسقام فالواجب على من عرف قدر هذه النعمة التي سوغها وفضل هذه الأيام التي بلغها أن يحفظها من التخليط والالتباس وأن يكف أذاه عن جميع الناس وأن يحذر لغو الكلام ولا يبطل فضل الصيام عند الملك العلام
٣٦٢ - شدة العقوبة في رمضان

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من سرق في رمضان أو زنا أو غصب أو انتهك حراما أو شرب خمرا أو تعدى ظلما لم يتقبل الله منه صرفا ولا عدلا ولعنه هو وملائكته إلى مثله من الحول
فكل من يؤذي في رمضان ويظلم على مثل ما يقدم ويندم حيث لا ينفعه الندم
فكم من صائم عن الطعام مفطر بالكلام دائب على القيام مؤذ للأنام فهو من لسانه وفعله موزور وعلى صيامه وقيامه غير مأجور
أين من زاغ عن الهدى ودال على سبيل الردى بل أين من رانت الذنوب على قلبه ولم يبادر بالتوبة من ذنبه ولم يخف من عذاب ربه ويحك يا مسكين اغتنم شهر رمضان المتضمن بالرحمة والغفران وانظر لنفسك يا مسكين قبل أن تصل إلى حلقك السكين وانتبه من نومك يا مغرور فإن ربك كريم غفور
إلى أي وقت تعانق حوبتك
ولأي يوم تؤخر توبتك إلى حول حائل أو إلى عام قابل كلا والله ما إليك الأقدار ولا بيدك المقدار لعلك إذا انقضى عنك شهر الصوم لم يبق من عمرك إلا **يوم يا هذا إذا** أنت صمت فلتصم جوارحك كلها بطنك من الحرام ولسانك من قبح

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/٢١١

الكلام وبصرك ويدك وسمعك من الإجرام واكتساب الآثام". (١)

٤٦-"رباط عندنا ببغداد ومعه صبي في البيت الذي هو فيه فشنعوا عليه وفرقوا بينهما فدخل الصوفي إلى الصبي ومعه سكين فقتله وجلس عنده يبكي فجاء أهل الرباط فرأوه فسألوه عن الحال فأقر بقتل الصبي فرفعوه إلى صاحب الشرطة فأقر فجاء والد الصبي يبكي فجلس الصوفي يبكي ويقول له بالله عليك إلا ما أقدتني به فقال الآن قد عفوت عنك فقام الصوفي إلى قبر الصبي فجعل يبكي عليه ثم لم يزل يحج عن الصبي ويهدي له الثواب.
فصل ومن هؤلاء من قارب الفتنة فوقع فيها ولم تنفعه دعوى الصبر والمجاهدة والحديث بإسناد عن إدريس بن إدريس قال حضرت بمصر قوما من الصوفية ولهم غلام أمرد يغنيهم قال فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر ما يصنع **فقال يا هذا قل** لا إله إلا الله فقال الغلام لا إله إلا الله فقال أقبل الفم الذي قال لا إله إلا الله القسم السادس قوم لم يقصدوا صحبة المردان وإنما يتوب الصبي ويتزهد ويصحبهم على طريق الإرادة فلبس إبليس عليهم ويقول لا تمنعوه من الخير ثم يتكرر نظرهم إليه لا عن قصد فيثير في القلب الفتنة إلى أن ينال الشيطان منهم قدر ما يمكنه وربما وثقوا بدينهم فاستفزهم الشيطان فرماهم إلى أقصى المعاصي كما فعل ببرصيصا.
قال المصنف رحمه الله: وقد ذكرنا قصته في أول الكتاب وغلطهم من جهة تعرضهم بالفتن وصحبة من لا يؤمن الفتنة في صحبته.
القسم السابع قوم علموا أن صحبة المردان والنظر إليهم لا يجوز غير أنهم لم يصبروا عن ذلك والحديث بإسناد عن الرازي يقول قال يوسف بن الحسين كل ما رأيتموني أفعله فأفعلوه إلا صحبة الأحداث فإنها أفتن الفتن ولقد عاهدت ربي أكثر من مائة مرة أن لا أصحب حدثا ففسخها علي حسن الخدود وقوام القدود وغنج العيون وما سألني الله معهم عن معصية وأنشد صريع الغواني في معنى ذلك شعرا:
إن ورد الخدود والحدق النجل ... وما في الثغور من أقحوان
واعوجاج الأصداغ في ظاهر الخد ... وما في الصدور من رمان
تركتني بين الغواني صريعا ... فلهذا أدعى صريع الغواني
قال المصنف رحمه الله: قلت هذا الرجل قد فضح نفسه في شيء ستره الله عليه وأخبر أنه كلما رأى فتنة نقض التوبة فأين عزائم التصوف في حمل النفس على المشاق ثم ظن بجهله أن". (٢)

٤٧-"مستور وأبنه أفضل منه فقال أحمد الذي قصدنا إليه من هذا الباب ليس يمنع منه سترهما على هذا رأينا أشياخنا وبه أخبرونا عن أسلافهم وبإسناد عن أبي بكر المرزوي قال جاء حسن البزاز إلى أحمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فتحدث معه فلما أراد أن ينصرف قال له أبو عبد الله يا أبا علي لا تمش مع هذا الغلام في طريق فقال له إنه ابن

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ص/٢٢٦
(٢) تلبيس إبليس ص/٢٤٣

أختي قال وإن كان لا يهلك الناس فيك وبإسناد من شجاع بن مخلد أنه سمع بشر بن الحارث يقول أخذروا هؤلاء الأحداث وبإسناد عن فتح الموصلي أنه قال صحبت ثلاثين شيخا كانوا يعدون من الأبدال كلهم أوصوني عند فراقي لهم اتقي معاشرة الأحداث وبإسناد عن الحلبي أنه يقول نظر سلام الأسود إلى رجل ينظر إلى حدث فقال **له يا هذا ابق** على جاهك عند الله فإنك لا تزال ذا جاه ما دمت له معظما وبإسناد عن أبي منصور بن عبد القادر بن طاهر يقول من صحب الأحداث وقع في الأحداث وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال قال مظفر القرميسيني من صحب الأحداث على شرط السلامة والنصيحة أداه ذلك إلى البلاء فكيف بمن يصحبهم على غير وجه السلامة؟

فصل: وقد كان السلف يبالغون في الأعراض عن المرد وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أجلس الشاب الحسن الوجه وراء ظهره والحديث بإسناد عن عطاء بن مسلم قال كان سفيان لا يدع أمردا يجالسه وروى إبراهيم بن هانيء عن يحيى بن معين قال ما طمع أمرد بصحبتي ولأحمد بن حنبل قال في طريق وبإسناد عن أبي يعقوب قال كنا مع أبي نصر بن الحرث فوقفت عليه جارية ما رأينا أحسن منها فقالت يا شيخ أين مكان باب حرب فقال لها هذا الباب الذي يقال له باب حرب ثم جاء بعدها غلام ما رأينا أحسن منه فسأله فقال يا شيخ أين مكان باب حرب فأطرق الشيخ رأسه فرد عليه الغلام السؤال وغمض عينيه فقلنا للغلام تعال أيش تريد فقال باب حرب فقلنا له ها هو بين يديك فلما غاب قلن للشيخ يا أبا نصر جاءتك جارية فأجبتها وكلمتها وجاءك غلام فلم تكلمه فقال نعم يروى عن سفيان الثوري أنه قال مع الجارية شيطان ومع الغلام شيطانان فخشيت على نفسي من شيطانيه وبإسناد عن عبد الله بن المبارك يقول دخل سفيان الثوري الحمام فدخل عليه غلام صبيح فقال أخرجوه أخرجوه فإني أرى مع كل امرأة شيطانا ومع كل غلام عشرة شياطين وبإسناد عن محمد بن أحمد بن أبي القسم قال دخلنا على محمد بن الحسين صاحب يحيى بن معين وكان يقال أنه ما رفع رأسه إلى السماء من منذ أربعين سنة وكان معنا غلام حدث في المجلس بين يديه فقال له قم من". (١)

٤٨-"فقد روي عن علي رضي الله عنه إذا ذكرتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك فتمجه القلوب ومثل هذا لا يسمى رياء لأن قلوب العوام تضيق عن التأويل للعالم إذا تفسح في المباح فينبغي أن يتلقاهم بالصمت والأدب وإنما المذموم تكلف التخشع والتباكي ومطأطأة الرأس ليرى الإنسان بعين الزهد والتهيؤ للمصافحة وتقبيل اليد وربما قيل له ادع لنا فيتهيأ للدعاء كأنه يستنزل الإجابة وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعي أنه قيل له ادع لنا فكره ذلك واشتد عليه وقد كان من الخائفين من حملة الخوف على شدة الذل والحياء فلم يرفع رأسه إلى السماء وليس هذا بفضيلة لأنه لا خشوع فوق خشوع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء وفي هذا الحديث دليل على استحباب النظر إلى السماء لأجل الاعتبار بآياتها وقد قال الله تعالى: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها﴾ وقال ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾ وفي هذا رد على المتصوفين فإن أحدهم يبقى سنين لا ينظر إلى السماء وقد ضم هؤلاء إلى ابتداعهم الرمز إلى التشبيه ولو علموا أن إطراقهم كرفعهم

---

(١) تلبيس إبليس ص/٢٤٥

في باب الحياء من الله تعالى لم يفعلوا ذلك غير أن ما شغل إبليس إلا التلاعب بالجهلة فأما العلماء فهو بعيد عنهم شديد الخوف منهم لأنهم يعرفون جميع أمره ويحترزون من فنون مكره.

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالا أخبرنا محمد بن الحسن الباقلاني نا القاضي أبو العلاء الواسطي نا أبو نصر أحمد بن محمد نا أبو الخير أحمد بن محمد البزاز ثنا البخاري ثنا إسحاق ثنا محمد بن المفضل ثنا الوليد بن جميع عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال لم يكن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منحرفين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فإذا أريد احد منهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون أخبرنا عبد الوهاب الحافظ ثنا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز الحسن بن إسماعيل الضراب نا أبي ثنا أحمد بن مروان ثنا إبراهيم الحربي ثنا محمد بن الحارث عن المدايني عن محمد بن عبد الله القرشي عن أبيه قال نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال **له يا هذا ارفع** رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب فمن أظهر للناس خشوعا فوق ما في قلبه فإنما أظهر نفاقا على نفاق.

أخبرنا عبد الوهاب نا المبارك بن عبد الجبار نا علي بن أحمد الملطي ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ثنا ابن صفوان نا أبو بكر القرشي ثنى يعقوب بن إسماعيل قال قال عبد الله أخبرنا المعتمر". (١)

٤٩-"ينظر إلى الدنيا بفرد عين ونحن نسأل الله سلامة العقول وقد حكى يوسف بن أيوب الهمداني عن شيخه عبد الله الجويني أنه كان يقول هذه الدولة ما أخرجتها من المحراب بل من موضع الخلاء وقال كنت أخدم في الخلاء فبينما أنا يوما أكنسه وأنظفه قالت لي نفسي أذهبت عمرك في هذا فقلت أنت تأنفين من خدمة عباد الله فوسعت رأس البئر ورميت نفسي فيها وجعلت أدخل النجاسة في فمي فجاؤا وأخرجوني وغسلوني قلت أنظروا إلى هذا المسكين كيف اعتقد جمع الأصحاب خلفه دولة واعتقد أن تلك الدولة إنما حصلت بإلقاء نفسه في النجاسة وإدخالها في فيه وقد نال بذلك فضيلة أثيب عليها بكثرة الأصحاب وهذا الذي فعله معصية توجب العقوبة وفي الجملة لما فقد هؤلاء العلم كثر تخبيطهم وبإسناد عن محمد بن علي الكتاني يقول دخل الحسين بن منصور مكة في ابتداء أمره فجهدنا حتى أخذنا مرقعته قال السوسي أخذنا منها قملة فوزناها فإذا فيها نصف دانق من كثرة رياضته وشدة مجاهدته قلت أنظروا إلى هذا الجاهل بالنظافة التي حث عليها الشرع وأباح حلق الشعر المحظور على المحرم لأجل تأذيه من القمل وجبر الحظر بالفدية وأجهل من هذا من أعتقد هذا رياضته. وبإسناد عن أبي الله بن ملقح يقول كان عندنا فقير صوفي في الجامع فجاع مرة جوعا شديدا فقال يا رب إما أن تطعمني إما أن ترميني بشرف المسجد فجاء غراب فجلس على الشرف فوقعت عليه من تحت رجله آجرة فجرى دمه وكان يمسح الدم ويقول أيش تبالي بقتل العالم قلت قتل الله هذا ولا أحياه في مقابلته هذا الاستنباط هلا قام إلى الكسب أو إلى الكدية وبإسناد عن غلام خليل قال رأيت فقيرا يعدو ويلتفت ويقول أشهدكم على الله هوذا يقتلني وسقط ميتا.

---

(١) تلبيس إبليس ص/٢٥٨

فصل: وفي الصوفية قوم يسمون الملامتية اقتحموا الذنوب وقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من الجاه وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرع قال وفي القوم طائفة يظهرون من أنفسهم أقبح ما هم فيه ويكتمون أحسن ما هم عليه وفعلهم هذا منأقبح الأشياء ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أتى شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله" وقال في حق ما عز هلا سترته **بثوبك يا هذا واجتاز** على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة وهو يتكلم مع صفية زوجته فقال له أنها صفية وقد علم الناس التجافي عن ما يوجب سوء الظن فإن المؤمنين شهداء الله في الأرض وخرج حذيفة إلى الجمعة ففاتته فرأى الناس وهم راجعون فاستتر لئلا يسوء ظن الناس به وقد قدمنا هذه وقال أبو بكر الصديق لرجل قال له إني لمست امرأة وقبلتها فقال تب إلى". [١]

٥٠-"وبإسناد عن عبد الملك بن زياد النصيبي قال كنا عند مالك فذكرت له صوفيين في بلادنا فقلت له يلبسون فواخر ثياب اليمن ويفعلون كذا قال ويحك ومسلمين هم قال فضحك حتى استلقى قال فقال لي بعض **جلسائه يا هذا ما** رأينا أعظم فتنة على هذا الشيخ منك ما رأيناه ضاحكا قط.

وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى قال سمعت الشافعي يقول لو أن رجلا تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق وعنه أيضا أنه قال ما لزم أحد الصوفية أربعين يوما فعاد عقله إليه أبدا وأنشد الشافعي:

ودعوا الذين إذا أتوك تنسكوا ... واذا خلوا كانوا ذئاب حقاف

وبإسناد عن حاتم قال حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال قال أبو سليمان ما رأيت صوفيا فيه خير إلا واحدا عبد الله بن مرزوق قال وأنا أرق لهم.

وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى يقول ما رأيت صوفيا عاقلا إلا إدريس الخولاني قال السلمي هو مصري من قدماء مشايخهم قبل ذي النون.

وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى يقول صحبت الصوفية ثلاثين سنة ما رأيت فيهم عاقلا إلا مسلم الخواص وبإسناد عن أحمد بن أبي الحواري يقول حدثنا وكيع قال سمعت سفيان يقول سمعت عاصما يقول ما زلنا نعرف الصوفية بالحماق إلا أنهم يستترون بالحديث وبإسناد عن سفيان عن عاصم يقول قال لي وكيع لم تركت حديث هشام قلت صحبت قوما من الصوفية وكنت بهم معجبا فقالوا إن لم تمح حديث هشام قاطعناك فأطعتم قال إن فيهم حمقا وبإسناد عن يحي بن يحي قال الخوارج أحب إلي من الصوفية وبإسناد عن يحي بن معاذ يقول اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين والفقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقد ذكرنا في أول ردنا على الصوفية من هذا الكتاب ان الفقهاء بمصر أنكروا على ذي النون ما كان يتكلم به وببسطام عن أبي يزيد وأخرجوه وأخرجوا أبا سليمان الداراني وهرب من أيديهم أحمد بن أبي الحواري وسهل التستري وذلك لأن السلف كانوا ينفرون من أدنى بدعة ويهجرون عليها تمسكا بالسنة ولقد حدثني أبو الفتح بن السامري قال جلس الفقهاء في بعض الأربطة للعزاء بفقيه مات فأقبل الشيخ أبو الخطاب الكلوذاني الفقيه متوكئا على يدي

---

(١) تلبيس إبليس ص/٣٢٠

حتى". (١)

٥١-"أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي، أنا أبو محمد بن أبي عثمان، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن الصلت، أنا أبو الحسين بن المنادي، ثنا عبد الله بن الصفر، ثنا الصلت بن مسعود الجحدري، ثنا جعفر، ثنا سليمان الضبع، قال: سمعت أبا عمران الجوني يقول: لا يغرنكم من الله ربكم عز وجل طول النسيئة، فإن أخذه أليم شديد، حتى متى تبقى وجوه أولياء الله تحت أطباق الثرى؟ وإنما هم محبوسون ببقية آجالكم، حتى يبعثهم الله عز وجل إلى جنته وثوابه.

أخبرنا محمد بن ناصر وعلي بن أبي عمر قالا: أنا رزق الله وطراد قالا: أنا علي بن محمد بن بشران، أنا ابن صفوان، ثنا أبو بكر بن عبيد، حدثني محمد بن عبد المجيد، عن سفيان بن عيينة، قال: كان رجل من السلف يلقى الأخ من إخوانه **فيقول**: **يا هذا إن** استطعت أن لا تسيء إلى من تحب فافعل، فقال له رجل: وهل يسيء الإنسان إلى من يحب؟ قال: نعم، نفسك أعز الأنفس عليك، فإن عصيت الله فقد أسأت إليها.

قال أبو بكر بن عبيد: حدثني محمد بن سهل الأزدي، عن الهيثم بن عبيد، قال: سمعت خويل بن محمد وكان عابدا يقول:". (٢)

٥٢-"أخبرنا ابن ظفر قال أنبأنا جعفر بن أحمد قال أنبأنا عبد العزيز بن علي قال أنبأنا ابن جهضم قال حدثنا عمرو بن عبد الله قال سمعت الحلبي يقول نظر سلام الأسود إلى رجل ينظر إلى حدث فقال **له يا هذا أبق** على جاهك عند الله عز وجل فإنك لا تزال ذا جاه ما دمت له معظما

أخبرنا محمد بن أبي منصور قال أنبأنا الحسن بن الفضل الأدمي قال أنبأنا أحمد ابن عبد الغفار قال حدثنا أبو سعيد محمد بن علي بن عمرو النقاش قال سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت أحمد بن عطاء الروذباري يقول سمعت الحسين بن علي الدمشقي يقول عن أبي حمزة الصوفي قال نظر عبد الوهاب بن أفلح إلى غلام أمرد حسن الوجه مرة فرفع يده يدعو وقال هذا ذنب أنا تائب إليك منه وراجع إليك عنه فعد علي بما لم أزل أعرفه منك قديما وحديثا

وبه قال النقاش وسمعت أبا بكر بن شاذان الرازي يقول سمعت خيرا النساج يقول سمعت أبا حمزة يقول لقي محمد بن حميد حدثا جميلا فقال يا من خلق الخلق على ما أحب من مشيئته لا تجعل للشيطان على قلبي سبيلا بنظرتي هذه يا جميل البلاء

أخبرنا ابن ناصر قال أنبأنا أحمد بن علي بن خلف قال أنبأنا محمد بن الحسين قال قال مظفر القرميسيني من صحب الأحداث على شرط السلامة والنصحية أداه ذلك إلى البلاء فكيف بمن صحبهم على غير وجه السلامة أخبرنا عبد الخالق بن أحمد قال أنبأنا أحمد بن أبي نصر قال أنبأنا محمد بن أحمد الطبسي قال سمعت أبا منصور عبد القاهر بن طاهر يقول من صحب الأحداث وقع في الأحداث

---

(١) تلبيس إبليس ص/٣٢٧

(٢) حفظ العمر لابن الجوزي ص/٦٨

أخبرنا عبد الله بن علي قال أنبأنا طراد بن محمد قال أنبأنا أبو الحسين بن". [1]

٥٣-"فالنفس ترتاح نحو الظلم جاهلة ... والقلب مني سليم ما يواتيها

والله لو قيل لي تأتي بفاحشة ... وأن عقباك دنيانا وما فيها

لقلت لا والذي أخشى عقوبته ... ولا بأضعافه ما كنت آتيها

لولا الحياء لبحنا بالذي كتمت ... بنت الفؤاد وأبدينا تمنيها

قال فأسكت وقلت لا أدري ما أحتال في أمر هذا الرجل

وقلت للخادم لا يأتيك أحد بكتاب إلا قبضت عليه حتى تدخله علي

ثم لم أعرف له خبرا بعد ذلك

فبينا أنا أطوف بالكعبة إذا أنا بفتى قد أقبل نحوي وجعل يطوف إلى جنبي ويلاحظني وقد صار مثل العود فلما قضيت طوافي خرجت واتبعني فقال **لي يا هذا أتعرفني** قلت ما أنكرك لسوء قال أنا صاحب الكتابين

قال فما تمالكت أن قبلت رأسه وبين عينيه وقلت بأبي أنت وأمي والله لقد شغلت علي قلبي وأطلت غمي بشدة كتمانك لأمرك فهل لك فيما سألت وطلبت

قال بارك الله لك وأقر عينيك إنما أتيتك مستحلا من نظر كنت أنظره على غير حكم الكتاب والسنة والهوى داع إلى كل بلاء وأستغفر الله

فقلت يا حبيبي أحب أن تصير معي إلى منزلي فآنس بك وتجري الحرمة بيني وبينك قال ليس إلى ذلك سبيل فاعذر وأجب إلى ما سألتك

فقلت يا حبيبي غفر الله لك ذنبك وقد وهبتها لك ومعها مائة دينار تعيش بها

ولك في كل سنة كذا وكذا

قال بارك الله لك فيها لولا عهود عاهدت الله بها وأشياء وكدتها على نفسي لم يكن في الدنيا شيء هو أحب إلي من هذا الذي تعرضه علي ولكن ليس إليه سبيل والدنيا فانية منقطعة". [2]

٥٤-"أخبرنا ابن ناصر وعبد الله بن علي قالا أنبأنا طراد قال أنبأنا أبو الحسين بن بشران قال حدثنا أبو علي بن صفوان قال حدثنا أبو بكر القرشي قال حدثنا أبو يزيد النميري قال حدثني خلاد بن يزيد قال سمعت شيوخنا من أهل مكة منهم سليمان يذكرون أن القس كان من أحسنهم عبادة وأطهرهم تبتلا وأنه مر يوما بسلامة جارية كانت لرجل من قريش وهي التي اشتراها يزيد بن عبد الملك فسمع غناءها فوقف يستمع فرآه مولاها فدنا منه فقال له هل لك أن تدخل فتسمع فتأبى عليه فلم يزل به حتى تسمح وقال أقعدني في موضع لا أراها ولا تراني قال أفعل

---

(١) ذم الهوى ص/١١٥

(٢) ذم الهوى ص/٢٣٣

فدخلت فغنت فأعجبته فقال مولاها هل لك أن أحولها إليك فتأبى ثم سمح فلم يزل يسمع غناءها حتى شغف بها وشغفت به وعلم ذلك أهل مكة

فقالت له يوما أنا والله أحبك

قال وأنا والله أحبك

قالت وأحب أن أضع فمي على فمك

قال وأنا والله

قالت وأحب أن ألصق صدري بصدرك وبطني ببطنك

قال وأنا والله قالت فما يمنعك فوالله إن الموضع لخال قال إني سمعت الله يقول الأخلاء يؤمئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين وأنا أكره أن تكون خلة ما بيني وبينك تؤول بنا إلى عداوة يوم القيامة **قالت يا هذا أتحسب** أن ربي وربك لا يقبلنا إن نحن تبنا إليه قال بلى ولكن لا آمن أن أفاجأ

ثم نهض وعيناه تذرفان فلم يرجع بعد وعاد إلى ما كان فيه من النسك

أخبرنا ابن ناصر قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال أنبأنا أبو إسحاق البرمكي قال أنبأنا أبو الحسين الزينبي قال حدثنا ابن المرزبان قال قال إسحاق بن منصور حدثني جابر بن نوح قال كنت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم". (١)

٥٥-"أنه ليس شيء أبلغ من الاجتماع فأرسلت إلي الموعد فقلت ليلة كذا في موضع كذا وكذا

فلما كانت الليلة خرجت وخرجت فالتقينا وجلست أشكو إليها فبينا نحن كذلك وقف شيخ علينا فسلم فرددت السلام فقال ما جلوسك ها هنا قلت حاجة لي فقال ومن هذه المرأة قلت بعض أهلي قال سبحان الله تخرجها في مثل هذا الوقت قلت حاجة عرضت فقال **لي يا هذا إن** الله تعالى قال في محكم كتابه العزيز ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾ وتلا الآية **فإياك يا هذا أن** تكون للسيئات مجترحا فإن الله مسائل كل نفس عما عملت فإياك لا يفضحك عند السؤال إذ لا عذر لك ثم قال قوما بارك الله فيكما

فقمنا وما أقدر أن أخطو من الحياء منه وشدة هيبته فلما توليت قال انظر ما أوصيتك به فإنه معك وهو يراك حيث كنت ثم مضى فسمعته يقول اللهم اعصمهما حتى لا يعصياك وكأنما فرغ من قلبي ما كنت أجد فأتيت وعزمت على هجرها

فأتاني رسولها بالسلام فقلت له لا تعد إلي بعد اليوم

فلما بلغها الرسول ذلك كتبت إلي هذا الشعر

إني توهمت أمرا لا أحققه ... وربما كان بعض الظن تغريرا

فإن يكن ما ظننت اليوم يا سكني ... حقا فقد طال تعذيبي وتفكيري

فلما قرأته كتبت إليها

---

(١) ذم الهوى ص/٢٥٨

يا من توهم أني مثل ما عهدت ... لا تكذبي لست عند الظن والأمل
إني أخاف عقاب الله يلحقني ... وأن يقربني حتفي من الأجل". (١)

٥٦-"قال ثم ولت فتبعتها فدخلت بعض خيام الأعراب فلما أصبحت أتيت رجلا من القوم فوصفتها فقلت فتاة كذا وكذا من حسنها من منطقها فقال شيخ منهم ابنتي والله قلت هل أنت مزوجي قال على الأكفاء
قلت رجل من تيم الله قال كفؤ كريم فما رمت حتى تزوجتها ودخلت بها ثم قلت جهزوها إلي قدومي من الحج فلما قدمت حملتها إلى الكوفة فها هي عندي لي منها بنين وبنات
قال قلت لها ويحك ما كان تعرضك لي حينئذ **قالت يا هذا لا** تكذبن ليس للنساء خير من الأكفاء فلا تعجبن بامرأة تقول هويت فوالله لو عجل لها بعض السودان ما تريده من هواها لكان هو الهوى عندها دون هواها
أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار قال أنبأنا أبي قال أنبأنا أبو عبد الله الحسين بن جعفر السلماسي قال أنبأنا أبو العباس الوليد بن بكر الأندلسي قال أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن زكريا الهاشمي قال حدثنا صالح بن أحمد بن عبد الله بن مسلم العجلي قال حدثني أبي قال حدثني أبي عبد الله قال كانت امرأة جميلة بمكة وكان لها زوج فنظرت يوما إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها أترى أحدا يرى هذا الوجه لا يفتن به قال نعم قالت من قال عبيد بن عمير قالت فائذن لي فيه فلأفتننه قال قد أذنت لك قال فأتته كالمستفتية فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام قال فأسفرت عن مثل فلقة القمر فقال لها يا أمة الله قالت إني قد فتنت بك فانظر في أمري قال إني سائلك عن شيء فإن أنت صدقتيني نظرت في أمرك قالت لا تسألني عن شيء إلا صدقتك". (٢)

٥٧-"فعرفتني فقالت نحوه لعنه الله فقالوا لا تلعنيه فقد أسلم فقالت إنما فعلت ذلك لقذره
فعرضوا علي كسوة فقلت ليس بي حاجة إلى هذه وإنما أردت أن أشرف بولائها والحمد لله الذي من علي بحضوركم
فجعلوا يعلمونني الحمد وصليت معهم العصر وأنا في ذلك بين يديها أنظر إليها لا تقدر لي على حيلة
فلما انصرفت لقيت خالصة فشكت إليها فقالت ليس يخلو هذان من أن يكونا عاشقين أو مستأكلين
فصح عزمهما على امتحاننا بمال على أن ندع التعرض لهما فإن قبلنا المال فنحن مستأكلان وإن لم نقبله فنحن عاشقان
فلما كان الغد مرت خالصة فعرض لها صاحبي فقال الخدم اتبعنا فاتبعهم ثم لم نلبث أن مرت عتبة فقال لي الخدم اتبعنا فاتبعتهم فمضت بي إلى منزل خليط لها بزاز فلما جلست دعت بي فقالت **لي يا هذا إنك** شاب وأرى بك أدبا وأنا حرمة خليفة وقد تأبيتك فإن أنت كففت وإلا أنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين ثم لم آمن عليك
قلت فافعلي بأبي أنت وأمي وإنك إن سفكت دمي أرحتيني فأسألك بالله إلا فعلت ذلك إذا لم يكن لي فيك نصيب فأما الحبس والحياة ولا أراك فأنت في حرج من ذلك

---

(١) ذم الهوى ص/٢٦١
(٢) ذم الهوى ص/٢٦٥

فقالت لا **تفعل يا هذا وأبق** على نفسك وخذ هذه الخمسمائة دينار واخرج عن هذا البلد فلما سمعت ذكر المال وليت هاربا فقالت ردوه فلم تزل ترادني فقلت جعلت فداك ما أصنع بعرض من الدنيا وأنا لا أراك وإنك لتبطئين يوما واحدا عن الركوب فتضيق بي الأرض بما رحبت

وهي تأبى إلا ذكر المال حتى جعلت لي ألف دينار فأبيت وجاذبتها مجاذبة شديدة وقلت لو أعطيتيني جميع ما يحويه الخليفة ما كانت لي فيه حاجة وأنا لا أراك بعد أن أجد السبيل إلى رؤيتك". (١)

٥٨-"فنفخ سحرا في إحليله فذهب مع الوحش فيما تقول قريش فلم يزل مستوحشا يرد ماء في جزيرة بأرض الحبش حتى خرج إليه عبد الله بن أبي ربيعة في جماعة من أصحابه فرصده على الماء فأخذه فجعل يصيح به يا بحير أرسلني فإني أموت إن أمسكتني فأمسكه فمات في يده

أخبرنا إبراهيم بن دينار الفقيه قال أنبأنا محمد بن سعيد بن نبهان قال أنبأنا الحسن بن الحسين بن دوما قال أنبأنا أحمد بن نصر الذارع قال حدثني محمد بن عبد الله الكاتب قال أنبأنا عبد العزيز بن محمد الفارسي قال حدثني أبي قال كان لكسرى حاجب عشق جارية فعاتبته يوما فلم يدر ما يجيبها وارتج عليه فذهب ليتكلم فلجلج

قال فما زال بعد ذلك أخرس يكلم فلا يتكلم فجمع له كسرى الأطباء ليعالجوه فلم يكن فيه حيلة وتوفي على ذلك

أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزاز قال أنبأنا علي بن المحسن التنوخي قال أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قال أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن محمد بن منصور بن سيار قال حدثنا نوح بن يزيد المعلم قال حدثنا إبراهيم بن سعد قال حدثني محمد بن إسحاق قال حدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال سمعت رجلا من بني عذرة عند عروة بن الزبير يحدثه فقال **عروة يا هذا بحق** أقول لكم إنكم أرق الناس قلوبا

فقال نعم والله لقد تركت بالحي ثلاثين شابا قد خامرهم السل ما بهم إلا داء الحب

وبالإسناد حدثنا ابن المرزبان قال حدثني أحمد بن زهير قال حدثني علي". (٢)

٥٩-"قلت إن هذه آخر ليلة من ليالي الحج فلو سألت الله عز وجل التوبة مما أنت فيه رجوت أن يذهب حبه من قلبك

قالت يا هذا عليك بنفسك في طلب رغبتك فإني قد قدمت رغبتي إلى من لا يجهل بغيتي وحولت وجهها عني وأقبلت على بكائها وشعرها ولم يكن بها قولي ووعظي

أنبأنا عبد الرحمن بن محمد القزاز قال أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت قال أخبرنا عبد الصمد بن محمد بن مكرم قال أنبأنا إسماعيل بن سعيد بن سويد قال حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي قال حدثنا محمد بن موسى المارستاني قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني أحمد بن معذل قال كان سوار بن عبد الله القاضي قد خامر قلبه شيء من الوجد فقال

---

(١) ذم الهوى ص/٣٠٤

(٢) ذم الهوى ص/٣٣١

سلبت عظامي لحمها فتركتها ... عواري في أجلادها تتكسر

وأخليت منها مخها فكأنها ... قوارير في أجوافها الريح تصفر

خذي بيدي ثم ارفعي الثوب فانظري ... بلي جسدي لكنني أتستر

أخبرنا ابن ناصر قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال أخبرنا الجوهري قال أنبأنا ابن حيويه قال حدثنا أبو بكر بن المرزبان إذنا قال حدثني عبد الرحمن بن بشير قال حدثني محمد بن الحسن قال حدثتني أم إبراهيم بن جميل قالت حدثني عبيد الله الشروي قهرمان سليمان بن أبي جعفر قال دخل هارون الرشيد على سليمان بن أبي جعفر وكان عليلا فرأى عنده جارية له تسمى ضعيفة في غاية الحسن والجمال والشكل فوقعت في قلبه فقال هارون لسليمان هبها لي فقال هي لك يا أمير المؤمنين فلما أخذها مرض سليمان من شدة حبه لها فقال سليمان". (١)

٦٠-"ارحم أهل الهوى فإنك قريب ممن دعا ثم أنشأت تقول

يا رب إنك ذومن ومغفرة ... ثبت بعافية منك المحبينا

فقلت يا هذه أترفثين وأنت في الطواف فقالت إليك عني لا رهقك الحب

فقلت لها وما الحب فقالت جل أن يخفى ودق أن يرى له كمون ككمون النار في الحجر إن قدحته أورى وإن تركته توارى

قال فتبعتها حتى عرفت منزلها فلما كان من الغد جاء مطر شديد فمررت ببابها وهي قاعدة مع أتراب لها وهي تقول لهن قد أضر بنا المطر ولولا ذلك لخرجنا إلى الطواف وأنشأت تقول

قالوا أضر بنا السحاب وقطره ... لما رأوه لعبرتي يحكي لا تعجبوا مما ترون فإنما ... هذي السماء لرحمتي تبكي

وبلغنا عن بعض من تبع الحاج أنه قال كنت في الطواف وقد مضى أكثر الليل وإذا أنا بامرأة كأنها شمس على قضيب غرس في كثيب وهي تقول

رأيت الهوى حلوا إذا اجتمع الوصل ... ومرا على الهجران لا بل هو القتل

ومن لم يذق للهجر طعما فإنه ... إذا ذاق طعم الوصل لم يدر ما الوصل

وقد ذقت طعميه على القرب والنوى ... فأبعده قتل وأقربه خبل

ثم التفتت فرأتني **فقالت يا هذا ظن** خيرا فإن من ضعفت قوته عن حمل شيء ألقاه طلبا للراحة وفرارا من ثقل المحبة وقد نطقت بما علمه الله وأحصاه الملكان فإن يعف عن أهل السرائر أكن فيهم وإن يعاقبوا فياخيبة المذنبين ثم بكت فما رأيت درا قطع سلكه فانتثر بأحسن من تناثر دموعها

فاعتزلت خوفا أن يصبوا قلبي إليها". (٢)

---

(١) ذم الهوى ص/٣٣٧

(٢) ذم الهوى ص/٣٤٦

٦١-"فقال الفضل أنت موسوس مدخول عليك في عقلك **فقال يا هذا قد** أمرت أن تكتب ما يقول كل واحد منا فاكتب ما أقول واعرضه فإن أجبت إليه وإلا فأنت في أوسع العذر

فدخل الفضل مغضبا فوقف بين يدي الرشيد فقرأ عليه ما كتب فلما فرغ قال يا أمير المؤمنين فيهم واحد مجنون سأل ما أجل مجلس أمير المؤمنين عن التفوه به فقال قل ولا تجزعن فقال قال كذا وكذا فقال اخرج إليه وقل له إذا كان بعد ثلاث فاحضر لننجز لك ما سألت وكن أنت تتولى الاستئذان له ودعا بخادم فقال امض إلى فلانة فقل لها قد حضر رجل سأل كذا وكذا وقد أجبناه إلى ما سأل فكوني على أهبة

ثم خرج الفضل إلى الفتى فأدى إليه ما قال الرشيد فانصرف فلما كان في اليوم الثالث حضر وعرف الرشيد خبره فقال يلقى له بحيث أري كرسي من فضة وللجارية كرسي من ذهب وليخرج إليه ثلاثة أرطال فجلس الفتى على الكرسي والجارية بإزائه يحدثها والرشيد يراهما فقال الخادم لم تدخل لتشتوي وتصيف فأخذ رطلا وخر ساجدا وقال إذا شئت أن تغني فغني

خليلي عوجا بارك الله فيكما ... وإن لم تكن هند بأرضكما قصدا

وقولا لها ليس الضلال أجازنا ... ولكنما جزنا لنلقاكم عمدا

غدا يكثر الباكون منا ومنكم ... وتزداد داري من دياركم بعدا

فغنت ثم شرب الرطل وحادثها ساعة فاستحثه الخادم فأخذ الرطل بيده وقال غني جعلني الله فدك

تكلم منا في الوجوه عيوننا ... فنحن سكوت والهوى يتكلم

ونغضب أحيانا ونرضى بطرفنا ... وذلك فيما بيننا ليس يعلم". (١)

٦٢-"أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي قال أنبأنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي عن أبيه قال حدثني أبو الفرج أحمد بن عثمان بن إبراهيم الفقيه المعروف بابن النرسي قال كنت جالسا بحضرة أبي وأنا حدث وعنده جماعة فحدثني حديث وصول النعم إلى الناس بالألوان الظريفة

وكان ممن حضر صديق لأبي فسمعته يحدث أبي قال حضرت عند صديق لي من التجار كان يحزر بمائة ألف دينار في دعوة وكان حسن المروءة فقدم مائدته وقدم عليها دنكيريكة فلم يأكل منها فامتنعنا فقال كلوا فإني أتأذى بأكل هذا اللون فقلنا فنساعدك على تركه فقال بل أساعدكم على الأكل واحتمل الأذى فأكل فلما أراد غسل يده أطال فعددت عليه أنه قد غسلها أربعين مرة **فقلت يا هذا أوسوست** فقال هذه الأذية التي فرقت منها قلت وما سببها فامتنع من ذكرها فألححت عليه فقال مات أبي وسني عشرون سنة وخلف لي نعمة صغيرة ورأس مال ومتاعا في دكانه وكان دكاننا في الكرخ فقال لي لما حضرته الوفاة يابني إنه لا وارث لي غيرك ولا دين علي ولا مظلمة فإذا أنا مت فأحسن جهازي وتصدق علي بكذا وكذا وأخرج عني حجة بكذا وبارك الله لك في الباقي ولكن احفظ وصيتي فقلت قل

---

(١) ذم الهوى ص/٣٥٩

قال لا تسرف في مالك فتحتاج إلى ما في أيدي الناس ولا تجده واعلم". (١)

٦٣-"ولم ينظر ما فيه فلما جنه الليل دعا غلاما له أعجميا فقال له استأجر أجراء غرباء ليسوا من أهل المصر قال فجاءه بهم وأمرهم فحفروا له حفيرة في مجلسه حتى بلغوا الماء ثم قال قدموا إلي الصندوق فألقاه في الحفيرة ثم وضع فمه على شفيره **فقال يا هذا قد** بلغنا عنك خبر فإن يك حقا فقد قطعنا أثره وإن يكن باطلا فإنما دفنا خشبا ثم أهالوا عليه التراب حتى استوى

قال فلم ير وضاح اليمن حتى الساعة

قال فلا والله ما بان لها في وجهه ولا في خلائقه ولا في شيء حتى فرق الموت بينهما

أخبرنا محمد بن ناصر قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال أنبأنا ابن حيويه قال أنبأنا ابن خلف قال أخبرني أبو بكر النسائي قال أخبرني علي بن محمد بن سليمان الموصلي قال أخبرني رجل سماه أحسبه ذكر محمد بن إسحاق قال

كان لقمان بن عاد من أشد قومه وأجلدهم فقالوا له لو تزوجت فبقي من نسلك في عاد فقال إني أكره النساء فلم يزالوا به حتى تزوج امرأة من منى ثم بنى بيتا طويلا وجعل له بابا من أسفله وسكن في أعلاه مع امرأته وجعل خيطا في جلجل فإذا جاء من يريده حرك الجلجل لئلا تسمع امرأته كلام رجل فولدت له ابنة

وإن فتى من عاد قال لقومه أريد أن أرى امرأة لقمان بن عاد فمنعوه من ذلك فقال والله لئن لم أرها لأجرن على عاد جريرة يكون فيها استئصال عاد". (٢)

٦٤-"فوالله ما أدري وإني لدائب ... أفكر ما جرمي إليها فأعجب

قال فبلغها قوله فأنشأت تقول صدق والله قيس حيث يقول

ومن يطع الواشين لا يتركوا له ... صديقا وإن كان الحبيب المقربا

أخبرنا محمد بن أبي منصور قال أنبأنا أحمد بن محمد البخاري وأخبرتنا شهدة قالت أنبأنا أبو محمد بن السراج قالا أنبأنا الحسن بن علي الجوهري قال أنبأنا ابن حيويه قال حدثنا محمد بن خلف قال قال أبو عمرو الشيباني لما ظهر من المجنون ما ظهر ورأى قومه ما ابتلي به اجتمع قومه إلى أبيه **وقالوا يا هذا قد** ترى ما ابتلي به ابنك فلو خرجت به إلى مكة فعاد ببيت الله وزار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا الله عز وجل رجونا أن يرجع عقله ويعافيه الله تعالى فخرج أبوه حتى أتى مكة فجعل يطوف به ويدعو الله له بالعافية وهو يقول

دعا المحرمون الله يستغفرونه ... بمكة وهنا أن ستمحى ذنوبها

وناديت أن يا رب أول سؤلتي ... لنفسي ليلى ثم أنت حسيبها

فإن أعط ليلى في حياتي لا يتب ... إلى الله خلق توبة لا أتوبها

---

(١) ذم الهوى ص/٣٦٣

(٢) ذم الهوى ص/٣٧٦

حتى إذا كان بمنى نادى مناد من تلك الخيام يا ليلى فخر قيس مغشيا عليه واجتمع الناس حوله ونضحوا على وجهه الماء وأبوه يبكي عند رأسه ثم أفاق وهو يقول

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى ... فهيج أطراف الفؤاد وما يدري

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما ... أطار بليلى طائرا كان في صدري". (١)

٦٥-"الباب الرابع والأربعون في ذكر من حمله العشق على قتل الناس

أخبرنا عبد الوهاب ومحمد بن ناصر قالا أنبأنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال أنبأنا أبو الحسين بن محمد النصيبي قال أنبأنا إسماعيل بن سويد قال حدثنا أبو بكر بن الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أحمد بن عبيد عن الهيثم قال حدثني رجل من بجيلة عن مشيخة قومه أن عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله رأى امرأة من تيم الرباب يقال لها قطام وكانت من أجمل النساء ترى رأي الخوارج قد قتل قومها على هذا الرأي يوم النهروان فلما أبصرها عشقها فخطبها فقالت لا أتزوجك إلا على ثلاثة آلاف وقتل علي بن أبي طالب فتزوجها على ذلك فلما بنى بها قالت **له يا هذا قد** فرغت فافرغ فخرج متلبسا سلاحه وخرجت قطام فضربت له قبة في المسجد وخرج علي يقول الصلاة الصلاة فأتبعه عبد الرحمن فضربه بالسيف على قرن رأسه فقال الشاعر

لم أر مهرا ساقه ذو سماحة ... كمهر قطام بيننا غير معجم

ثلاثة آلاف وعبد وقينة ... وقتل علي بالحسام المصمم

فلا مهر أغلى من علي وإن غلا ... ولافتك إلا دون فتك ابن ملجم

أخبرنا عبد الأول بن عيسى قال أنبأنا محمد بن عبد العزيز الفارسي قال أنبأنا عبد الرحمن بن أبي شريح قال أنبأنا عبد الله بن محمد البغوي قال حدثنا أبو الجهم العلاء بن موسى قال حدثنا الليث بن سعد عن نافع أن وليدة كانت بالمدينة في خلافة معاوية كان لها هوى فقالت لا أرضى حتى تقتل". (٢)

٦٦-"ووراءه جماعة بمقارع فإذا حك رأسه ضرب المقرر واحدة عظيمة فيقول هو للذي ضربه قطع الله يديك ورجليك يا فاعل يا صانع من أمرك بضربه ولم ضربته **تقدم يا هذا لا** بأس عليك اصدق وقد نجوت فإن أقر وإلا حك رأسه ثانية وثالثة أبدا عل هذا وكذا كانت عادته في جميع الجناة

فلما أطال عليه الملاح حك رأسه فضرب قفاه بعض القائمين بمقرعة عظيمة فصاح صياحا شديدا فقال هو من أمرك بهذا يا فاعل يا صانع قطع الله يديك ثم قال للملاح اصدق وانج بنفسك فقال له لاملاح الله شاهد عليك أني آمن على نفسي وأعضائي حتى أصدق قال له نعم

فقال أنا رجل ملاح أعمل في المشرعة الفلانية يعرفني جيراني بالستر كنت قد سرحت سميريتي البارحة بعد العتمة أتفرج في

---

(١) ذم الهوى ص/٣٨٦

(٢) ذم الهوى ص/٤٦١

القمر فنزل خادم من دار لا أعرفها فصاح يا ملاح فتقدمت فسلم إلي امرأة حسنة ومعها صبيتان وأعطاني درهما صحيحا وقال احمل هؤلاء إلى باب الشماسية فصاعدت بهم قطعة من الطريق فكشفت المرأة وجهها فإذا هي من أحسن الناس وجها كالقمر فاشتهيتها فعلقت مجاديفي في الدرنوك وأخرجت السفينة إلى وسط دجلة وتقدمت إلى المرأة فراودتها عن نفسها فأخذت تصيح فقلت والله لئن صحت لأغرقنك الساعة فسكتت وأخذت تمانعني عن نفسها فاجتهدت بأن أقدر عليها فما قدرت فقلت لها من هاتان الصبيتان منك فقالت بناتي فقلت لها أيما أحب إليك تمكنيني من نفسك أو أغرق هذه وقبضت على واحدة منهما فقالت أما أنا فلا أطيعك فاعمل ما شئت فرميت إحدى الصبيتين في الماء فصاحت فضربت فاها وصحت معها والله لا طلقتك". (١)

٦٧-"فمن رأى مثلي فتى ... بالحزن أضحى مرتدي

أسقمه الحب فقد ... صار حليف الأود

وصار سهوا دهره ... مقارنا للكمد

قال ثم أطرق فقلت الساعة والله يموت

قال علي بن عاصم وورد على من أمره مالم أتمالك وقمت أجر ردائي فوالله ما بلغت الباب حتى سمعت الصراخ فقلت ما هذا فقالوا مات والله

قال علي فقلت والله لا أبرح حتى أشهده

قال وتسامع الناس فجاءوا بطبيب فقال خذوا في أمر صاحبكم فقد مضى لسبيله فغسلوه وكفنوه ودفنوه وانصرف الناس فقال لي صاحبي امض بنا فقلت امض أنت فإني أريد الجلوس ها هنا ساعة فمضى فما زلت أبكي وأعتبر به وأذكر أهل محبة الله عز وجل وما هم فيه

قال فبينا أنا على ذلك إذا أنا بجارية قد أقبلت كأنها مهاة وهي تكثر الالتفات فقالت لي يا هذا أين دفن هذا الفتى قال علي فرأيت وجهها ما رأيت قبله مثله فأومأت إلى قبره

قال فذهبت إليه فوالله ماتركت على الأرض كثير تراب إلا ألقته على وجهها وجعلت تتمرغ فيه حتى ظننت أنها ستموت فما كان أسرع من أن طلع القوم يسعون حتى جاءوا إليها وأخذوها فجعلوا يضربونها فقمت إليهم فقلت رفقا بها رحمكم الله قالت دعهم أيها الرجل يبلغوا همتهم فوالله لا انتفعوا بي أبدا بعده أيام حياتي فليصنعوا بي ما شاءوا

فإذا هي التي كان يحبها الفتى فانصرفت". (٢)

٦٨-"فقلت بم صار أقواهم وأوفاهم قالت هوي فكان أهلي إذا جاهر بحبي لاموه وإذا كتمه عنفوه فلما أخذه الأمر قال بيتين من الشعر ولم يزل يرددهما إلى أن مات قلت وما هما قالت قوله

---

(١) ذم الهوى ص/٤٦٧

(٢) ذم الهوى ص/٥٢٤

يقولون إن جاهرت قد عضك الهوى ... وإن لم أبح بالحب قالوا تصبرا

فما للذي يهوى ويكتم حبه ... من الأمر إلا أن يموت فيعذرا

والله يا هذا لا أبرح أو يتصل قبرانا

ثم شهقت شهقة فصاح النساء وقلن قضت والذي اختار لها الوفاة

فما رأيت أسرع ولا أوحى من أمرها

أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت أنبأنا أبو محمد بن السراج قال أنبأنا أبو طاهر محمد بن علي بن العلاف قال أنبأنا عمر بن أحمد بن شاهين قال حدثنا جعفر بن محمد الصوفي قال أنبأنا أحمد بن محمد الطوسي قال حدثني القاسم بن يزيد قال حدثني محمد بن سلام قال حدثني جلاد بن يزيد الأرقط قال كان عويمر العقيلي مشغوفا بابنة عم له وكان يقال لها ريا فزوجت برجل فحملها إلى بلاده فاشتد وجده واعتل علة وأخذه الهلاس فدعوا له طبيبا لينظر إليه فقال له أخبرني بالذي تجد فرفع عقيرته فقال

عطفت على أسراركم فكسوتها ... فميصا من الكتمان لا يتخرق

ولي عبرتان ما يفيقان عبرة ... تفيض وأخرى للصبابة تخنق

وأكثر حظي منك أني إذا جرت ... لي الريح من تلقائكم أتنشق

ثم ذهب عقله فما مكث إلا ليالي يسيرة حتى قضى". (١)

٦٩-"أنت التي غرقتني ... بعد القضا لو تعلمينا

فأراد الملاحون أن يطرحوا أنفسهم خلفهما فصاح بهم محمد دعوهما يغرقا إلى لعنة الله

قال فرأيتهما قد خرجا من الماء معتنقين ثم غرقا

بلغني عن جميل بن معمر العذري أنه قال دخلت على عبد الملك بن مروان فقال يا جميل حدثني ببعض أحاديث بني عذرة فإنه قد بلغني أنهم أصحاب أدب وغزل

فقلت نعم يا أمير المؤمنين انتجعوا عن حيهم مرة فوجدوا النجعة بموضع نازح فقطنوه فخرجت أريدهم فبينا أنا أسير إذ غلطت الطريق وجن علي الليل ولاح لي باب فقصدته حتى وردت على راع في أصل جبل قد ألجأ غنمه إلى كهف في الجبل فسلمت عليه فرد السلام وقال أحسبك قد ضللت الطريق قلت قد كان ذلك فأرشدني قال بل انزل حتى تريح ظهرك وتبيت ليلتك فإذا أصبحت وقفتك على القصد

فنزلت فرحب بي وأكرمني وعمد إلى شاة فذبحها وأجج نارا وجعل يشوي ويلقي بين يدي ويحدثني في خلال ذلك ثم قام إلى كساء كان معه فقطع به جانب الخباء ومهد لي جانبا وترك جانبا خاليا

فلما كان في الليل سمعته يبكي ويشكوا إلى شخص كان معه فأرقت ليلتي فلما أصبحت طلبت الإذن فأبى وقال الضيافة

(١) ذم الهوى ص/٥٢٨

ثلاث فأقمت عنده وسألته عن اسمه ونسبه وحاله فانتسب لي فإذا هو من بني عذرة من أشرافهم **فقلت يا هذا وما** الذي أحلك هذا الموضع فأخبرني أنه كان يهوى ابنة عم له وتهواه وأنه خطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجه منها لقلة ذات يده وأنه زوجها رجلا من بني". (١)

٧٠-"نعم. فذهبت به إلى رجل من الحي له صلاح ودين، فجمعت بينهما، وتواطئا على المرافقة، ثم انطلق بهيم إلى أهله، فلما كان بعد، أتاني الرجل وقال: يا هذا! أحب أن تزوي عني صاحبك ويطلب رفيقا غيري. فقلت: ولم؟ والله ما أعلم بالكوفة له نظيرا في حسن الخلق والاحتمال. قال: ويحك، حدثت أنه طويل البكاء لا يكاد يفتر، فهذا ينغص علينا العيش. فقلت: ويحك، إنما يكون البكاء أحيانا عند التذكرة، أوما تبكي أنت؟ قال: بلى، ولكنه قد بلغني عنه أمر عظيم من كثرة بكائه. فقلت: اصحبه لعلك تنتفع به. فقال: أستخير الله.

فلما كان اليوم الذي أراد أن يخرجا فيه، جيء بالإبل ووطئ لهما، فجلس بهيم في ظل حائط [يبكي] ، فوضع يده تحت لحيته، ثم على صدره حتى والله رأيت دموعه على الأرض، فقال لي صاحبي: يا مخول! قد ابتدأ صاحبك، ليس هذا لي رفيق.

فقلت: ارفق، لعله ذكر عياله ومفارقته إياهم. وسمعها بهيم، فقال: يا أخي! والله ما هو ذاك، وما هو إلا لأني ذكرت بها الرحلة إلى الآخرة. وعلا صوته بالنحيب.

فقال لي صاحبي: ما هي بأول عداوتك لي، مالي ولبهيم؟! إنما كان". (٢)

٧١-"الصوفي يقول: سمعت ابن محبوب تلميذ أبي الأديان يقول: سمعت أبا الأديان يقول: ما رأيت خائفا إلا رجلا واحدا، كنت بالموقف فرأيت شابا مطرقا منذ وقف الناس إلى أن سقط القرص، فقلت: يا هذا! ابسط يديك للدعاء، فقال لي: ثم وحشة؟ فقلت له: فهذا يوم العفو عن الذنوب.

قال: فبسط يديه، ففي بسط يديه وقع ميتا.

وقال الرياشي: رأيت أحمد بن المعدل في الموقف يوم شديد الحر وقد ضحى للشمس، فقلت: أبا الفضل! لو أخذت بالتوسعة، فأنشأ يقول:

ضحيت له كي أستظل بظله ... إذا الظل أمسى في القيامة قالصا

فوا أسفا إن كان سعيك باطلا ... ويا حسرتا إن كان حظك ناقصا

أحمد هو أخو عبد الصمد بن المعدل، وكان مالكي المذهب.". (٣)

---

(١) ذم الهوى ص/٥٧٥

(٢) مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ط الراية ١١٥/١

(٣) مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ط الراية ٢٦٢/١

٧٢-"هذا؟ سلمك الله ووفقك. ثم صمت، فلم يكلمنا، فخرجنا من عنده.

فلما صرنا إلى الباب، قال هارون: إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين. فدخلت عليه امرأة من نسائه، فقالت: يا هذا! قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال، فتفرجنا به. فقال لها: مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه، فأكلوا لحمه.

فلما سمع هارون هذا الكلام، قال: ندخل فعسى أن يقبل المال. فلما علم الفضيل، خرج فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون وجلس إلى جنبه، فجعل يكلمه ولا يجيبه، فبينا نحن كذلك، إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا! قد آذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف رحمك الله. فانصرفنا.

موعظة العمري للرشيد بمكة

٣٥٥- أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال الحافظ إذنا، قال: أنبأنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الجراح، قال: ثنا محمد بن جعفر بن راذان، قال: ثنا هارون بن عبد العزيز العباسي، قال: ثنا محمد بن خلف بن حيان، قال: ثنا محمد بن إسحاق بن". [1]

٧٣-"قال محمد بن خلف: وسمعت محمد بن عبد الرحمن يقول: بلغني أن هارون الرشيد قال: إني لأحب أن أحج كل سنة، ما منعني إلا رجل من ولد عمر، ثم يسمعني ما أكره.

موعظة شيبان الرشيد بمكة

٣٥٦- أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا محمد بن عبد الملك الأسدي، قال: أنبأنا الحسين بن جعفر السلماسي، قال: ثنا المعافى بن زكريا، قال: ثنا محمد بن مخلد، قال: ثنا حماد بن المؤمل، قال: ثنا زيد بن العباس، قال: لما حج الرشيد، قيل له: يا أمير المؤمنين! قد حج شيبان. فقال: اطلبوه لي. فطلبوه فأتوه به، فقال له: يا شيبان! عظني. قال: يا أمير المؤمنين! أنا رجل لكن لا أفصح بالعربية، فجئني بمن يفهم كلامي حتى أكلمه. فأتي برجل يفهم كلامه، فقال له بالنبطية: قل له: يا أمير المؤمنين! إن الذي يخوفك قبل أن تبلغ المأمن أنصح لك من الذي يؤمنك قبل أن يبلغ الخوف. فقال له: أي شيء تفسير هذا؟ قال: قل له: الذي يقول لك: يا هذا! اتق الله، فإنك رجل مسؤول عن هذه الأمة، استرعاك الله عليها، وقلدك أمورها، وأنت مسؤول عنها، فاعدل في الرعية، واقسم بالسوية، وانفر في". [2]

٧٤-"بثلاثين دينارا. قال: قد أخذته منك. قلت: يا هذا! والله ما هو لي، وإنما هو لرفيق لي وقد ذهب إلى المسجد، فإني لأكلمه إذا طلع الشيخ. فقلت: إني قد بعت الحمار بثلاثين دينارا. قال: أما إنك لو كنت استزدته لزادك إن شاء الله، فأما إذ بعت، فأوجزنا. فأخذت من الرجل ثلاثين دينارا، ودفعت الحمار إليه، وجئت بالدنانير، فقلت: ما أصنع بها؟ قال: هي لك فأنفقها. قلت: لا حاجة لي بها. قال: فألقها في الجراب. فألقيتها في الجراب، فنزلنا الأبطح، فقال: ابتغ دواة

---

(١) مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ط الراية ١٥٧/٢

(٢) مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ط الراية ١٥٩/٢

وقرطاسا. فأتيته بها، فكتب كتابين ثم شدهما ودفع أحدهما إلي، فقال: انطلق به إلى عباد بن عباد وهو نازل في موضع كذا وكذا، فادفعه إليه وأقرأه مني السلام ومن حضره من المسلمين. ثم دفع الآخر إلي.

فقال: ليكن هذا معك، فإذا كان يوم النحر، فاقرأه إن شاء الله. قال: فأخذت الكتاب وأتيت به عباد بن عباد وهو قاعد يحدث، عنده خلق كثير، فسلمت، ثم قلت: رحمك الله، كتاب بعض إخوانك، فأخذ الكتاب، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: يا عباد! فإن أحذرك الفقر يوم يحتاج الناس إلى الذخر، فإن فقر الآخرة لا يسده غنى، وإن مصاب الآخرة لا تجبر مصيبته أبدا، وأنا رجل من إخوانك وأنا ميت الساعة إن شاء الله، فأحضرني لتكفني، وتولى الصلاة علي، وإدخالي حفرتي، وأستودعك الله وجميع المسلمين، واقرأ السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليكم جميعا السلام ورحمة". (١)

٧٥-"الله. فلما قرأ عباد الكتاب، قال: يا هذا! أين هذا الرجل؟

قلت: بالأبطح. قال: فمريض هو؟ قلت: تركته الساعة صحيحا. فقام وقام الناس معه حتى دخل عليه، فإذا هو مستقبل القبلة ميت مسجى عليه عباءة، فقال لي عباد: هذا صاحبك؟ قلت: نعم. قال: تركته صحيحا؟ قلت: تركته صحيحا الساعة. فجلس يبكي عند رأسه، ثم أخذ في جهازه، وصلى عليه ودفنه واحتشد الناس في جنازته، فلما كان يوم النحر، فتحت الكتاب، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فأنت يا أخي نفعك الله بمعروفك يوم يحتاج الناس إلى صالح أعمالهم، وجزاك عن صحبتنا خيرا، فإن صاحب المعروف يجده لجنبه مضطجعا، وإن حاجتي إليك إذا قضى الله نسكك أن تنطلق إلى بيت المقدس، فتدفع ميراثي إلى وارثي، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قال: فقلت في نفسي: كل أمرك رحمك الله عجب، وهذا من أعجب أمرك، كيف آتي بيت المقدس ولم تسم لي أحدا، ولم تصف لي موضعا؟ ولا أدري لمن أدفعه؟

قال: وخلف قدحا، وجرابه ذاك وعصا كان يتوكأ عليها.

قال: وكفناه في ثوبي إحرامه، ولففنا العباءة فوق ذلك، فلما انقضى". (٢)

٧٦-"الفصل الأول: ابك على خطيئتك

إخواني: لو تفكرت النفوس فيما بين يديها، وتذكرت حسابها فيما لها وعليها، لبعث حزنها بريد دمها إليها، أما يحق البكاء لمن طال عصيانه: نهاره في المعاصي، وقد طال خسرانه، وليله في الخطايا، فقد خف ميزانه، وبين يديه الموت الشديد فيه من العذاب ألوانه.

روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه، ثم وضع شفتيه عليه يبكي

---

(١) مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ط الراية ١٧٧/٢

(٢) مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ط الراية ١٧٨/٢

طويلا، فالتفت، فإذا هو بعمر يبكي، فقال: يا عمر ههنا تسكب العبرات.

وقال أبو عمران الجوني: بلغني أن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي، فقال: يا رسول الله ما يبكيك: فقال: أو ما تبكي أنت؟ فقال: يا محمد، ما جفت لي عين منذ خلق الله جهنم مخافة أن أعصيه فيلقيني فيها.

وقال يزيد الرقاشي: إن لله ملائكة حول العرش تجري أعينهم مثل الأنهار إلى يوم القيامة: يميدون كأنما تنفضهم الريح من خشية الله، فيقول لهم الرب عز وجل: يا ملائكتي، ما الذي يخيفكم وأنتم عبيدي: فيقولون: يا ربنا لو أن أهل الأرض اطلعوا من عزتك وعظمتك على ما اطلعنا: ما ساغوا طعاما ولا شربا، ولا انبسطوا في شربهم، ولخرجوا في الصحاري يخورون كما تخور البقر.

وقال الحسن: بكى آدم عليه السلام حين أهبط من الجنة مائة عام حتى جرت أودية سرنديب من دموعه، فأنبت الله بذلك الوادي من دموع آدم الدارصيني والفلفل، وجعل من طير ذلك الوادي الطواويس، ثم إن جبريل عليه السلام أتاه وقال: يا آدم ارفع رأسك فقد غفر لك، فرفع رأسه، ثم أتى البيت فطاف (به) أسبوعا، فما أتمه حتى خاض في دموعه.

وقال ابن أسباط: لو عدل بكاء أهل الأرض ببكائه عليه السلام: كان بكاء آدم أكثر:

بكيت على الذنوب لعظم جرمي ... وحق لمن عصى مر البكاء

فلو أن البكاء يرد همي ... لأسعدت الدموع مع الدماء

قال وهيب بن الورد: لما عاتب الله نوحا أنزل عليه ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ ، فبكى ثلاثمائة عام حتى صار تحت أعينه أمثال الجداول من البكاء.

قال يزيد الرقاشي: إنما سمي (نوحا) لأنه كان نواحا.

أنوح على نفسي وأبكي خطيئة ... تقود خطايا أثقلت مني الظهرا

فيا لذة كانت قليل بقاؤها ... ويا حسرة دامت ولم تبق لي عذرا

وقال السدي: بكى داود حتى نبت العشب من دموعه فلما رماه سهم القدر جعل يتخبط في دماء تفريطه ولسان اعتذاره ينادي: اغفر لي، فأجابه: للخطائين، فصار يقول: اغفر للخطائين.

قال ثابت البناني: حشى داود سبعة أفرش بالرماد ثم بكى حتى أنفذتها دموعه.

تصاعد من صدري الغرام لمقلتي ... فغالبني شوقي بفيض المدامع

وإن في ظلام الليل قمرية إذا ... بكيت بكت في الدوح طول المدامع

قال سليمان التيمي: ما شرب داود عليه السلام شرابا إلا مزجه بدموع عينيه.

قال مجاهد: سأل داود ربه أن يجعل خطيئته في كفه فكان لا يتناول طعاما ولا شرابا إلا أبصر خطيئته فبكى، وربما أتى بالقدح ثلثاه فمد يده وتناوله، فينظر إلى خطيئته، ولا يضعه على شفتيه حتى يفيض من دموعه.

وقال بعض أصحاب فتح: رأيته ودموعه خالطها صفرة فقلت: على ماذا بكيت الدم؟ قال: بكيت الدموع على تخلفي عن واجب حق الله، والدم خوفا أن لا أقبل، قال: فرأيته في المنام، فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي، قلت: فدموعك!

قال: قربتني، وقال: يا فتح على ماذا بكيت الدموع؟ قلت: يا رب على تخلفي عن واجب حقك، قال: فالدم؟ قلت: بكيت على دموعي خوفا أن لا تصبح لي، قال: يا فتح، ما أردت بهذا كله، وعزتي وجلالي لقد صعد إلى حافظاك أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة.

أجارتنا بالغدر والركب متهم ... أيعلم خال كيف بات المتيم

رحلتم وعمر الليل فينا وفيكم ... سواء ولكن ساهرات ونوم

تناءيتم من ظاعنين وخلفوا ... قلوبا أبت أن تعرف الصبر عنهم

ولما جلى التوديع عما حذرته ... ولا زال نظرة تتغنم

بكيت على الوادي فحرمت ماؤه ... وكيف يحل الماء أكثره دم

قال عبد الله بن عمرو: كان يحيى يبكي حتى بدت أضراسه.

قال مجاهد: كانت الدموع قد اتخذت في خده مجرى.

يا من معاصيه أكثر من أن تحصى، يا من رضى أن يطرد ويقصى، يا دائم الزلل وكم ينهى ويوصى، يا جهولا بقدرنا ومثلنا لا يعصي، إن كان قد أصابك داء داود، فنح نوح نوح، تحيا بحياة يحيى.

روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان في وجهه خطوط مسودة من البكاء.

وبكى ابن مسعود، حتى أخذ بكفه من دموعه فرمى به.

وكان عبد الله بن عمر يطفيء المصباح بالليل ثم يبكي حتى تلتصق عينيه.

وقال أبو يونس بن عبيد: كنا ندخل عليه فيبكي حتى نرحمه.

وكان سعيد بن جبير، قد بكى حتى عمش.

وكان أبو عمران الجوني، إذا سمع المؤذن، تغير وفاضت عيناه.

وكان أبو بكر النهشلي، إذا سمع الأذان تغير لونه وأرسل عينيه بالبكاء.

وكان نهاد بن مطر العدوي، قد بكا حتى عمي.

وبكى ابنه العلا، حتى عشى بصره.

وكان منصره قد بكى حتى جردت عيناه.

وكانت أمه تقول: يا بني، لو قتلت قتيلا ما زدت على هذا.

وبكى هشام الدستوائي حتى فسدت عيناه وكانت مفتوحة، وهو لا يبصر بها.

وبكى يزيد الرقاشي أربعين سنة حتى أظلمت عيناه وأحرقت الدموع مجاورتها.

وبكى ثابت البناني حتى كاد بصره أن يذهب، وقيل له: نعالجك، على أن لا تبكي، فقال: لا خير في عين لم تبك:

بكى الباكون للرحمن ليلا ... وباتوا دمعهم ما يسأمونا

بقاع الأرض من شوقي إليهم ... تحن متى عليها يسجدونا

كان الفضل قد ألف البكا، حتى ربما بكى في نومه حتى يسمع أهل الدار:

ورقت دموع العين حتى كأنها ... دموع دموعي، لادموع جفوني

وكان أبو عبيدة الخواص يبكي، ويقول: قد كبرت فاعتقني.

ويقول الحسن بن عدقة: رأيت يزيد بن هارون بواسط من أحسن الناس عينين ثم رأيته بعد ذلك مكفوف البصر فقلت له: ما فعلت العينان الجميلتان؟ قال: ذهب بهما بكاء **الأسحار، يا هذا لو** علمت ما يفوتك في السحر ما حملك النوم، تقدم حينئذ قوافل السهر على قلوب الذاكرين، وتحط رواحل المغفرة على رباع المستغفرين، من لم يذق حلاوة شراب السحر لم يبلغ عرفانه بالخير، من لم يتفكر في عمره كيف انقرض لم يبلغ من الحزن الغرض.

قيل لعطاء السليمي: ما تشتهي؟ قال: أشتهي أن أبكي حتى لا أقدر أن أبكي، وكان يبكي الليل والنهار، وكانت دموعه الدهر سائلة على وجه.

وبكى مالك بن دينار حتى سود طريق الدموع خديه، وكان يقول: لو ملكت البكاء لبكيت أيام الدنيا:

ألا ما لعين لا ترى قلل الحمى ... ولا جبل الديان إلا استهلت

لجوخ إذا الحب بكى إذا بكت

قادت الهوى وأحلت ... إذا كانت القلوب للخوف ورقت

رفعت دموعها إلى العين وقت ... فأعتقت رقابا للخطايا رقت

من لم يكن له مثل تقواهم، لم يعلم ما الذي أبكاهم، من لم يشاهد جمال يوسف: لم يعلم ما الذي [آلم] قلب يعقوب:

من لم يبت والحب حشو فؤاده ... لم يدر كيف تفتت الأكباد

فيا قاسي القلب، هلا بكيت على قسوتك، ويا ذاهل العقل في الهوى هلا ندمت على غفلتك، ويا مقبلا على الدنيا فكأنك في حفرتك، ويا دائم المعاصي خف من غب معصيتك، ويا سيىء الأعمال نح على خطيئتك، ومجلسنا مأتم للذنوب، فابكوا فقد حل منا البكاء، ويوم القيامة ميعادنا لكشف الستور وهتك الغطاء.". (١)

٧٧-"الفصل الحادي عشر: احذر النار

إخواني: لقد خاب من آثار شهوة من حرام، فإن عقباها تجرع حميم آن، وخسر - والله - من أطلق نفسه فيما تريد، بعد أن سمع الزبانية وأغلال الحديد، وهلك كل الهلك وبار كل البوار، من اشترى لذة ساعة بعذاب النار.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة» .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ناركم هذه مما يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءا من جهنم» .

---

(١) مواعظ ابن الجوزي - الياقوتة ص/٤٣

وروى ابن مسعود رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك، يجرونها» .

وقال وهب بن منبه: إذا سيرت الجبال، فسمعت حسيس النار، نقيضها وزفيرها وشهيقها، صرخت الجبال كما تصرخ النساء، ثم يرجع أوائلها على أواخرها يدق بعضها بعضا.

وفي المسند عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يعظم أهل النار حتى إن بين شحمة أذن أحدهم وعاتقه سبعمائة عام، وإن غلظ جلده سبعون ذراعا، وإن ضرسه مثل أحد» .

وروى الزهري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الحميم ليصب على رءوسهم (فينفذ الحميم) حتى يخلص إلى جوفه فيلهب ما في جوفه، حتى يمرق من قدميه، وهو الصهر ثم يعاد كما كان» .

وقال أبو موسى: أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت.

لله در أقوام أذهبوا أعمارهم في طلبي وأتبعوا أعضاءهم في فرضي وواجبي وقطعوا

قواطعهم لأجل التعلق بي، وحلموا عن الجهال خوفا من غضبي، فإذا مروا على النار،

قالت: جريا يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي.

إذا رأت النار من جاهد بالخير، وما خافت خافت، وإذا شاهدت نفوسا طال ما صافت صافت، وإذا عاينت أجساما ما نبتت من الحرام وعافت عافت.

هلا تشبهت يا هذا بهؤلاء القوم، هلا تنبهت من هذا الرقاد والنوم، وأنت وقت العشاء نائم، وقلبك في حب شهوات البهائم [هائم] ، قل للذي ألجأه عاجل لهوه عن حظه، يحكي البهائم هائما: أمسنا الفنا، خذ حكمة تخصنا بها، فانظر ولا تبغ الفنا يا نائم،

يا هذا: المحب يطرد فلا يزول وأنت تدعى فلا تجب.

كم ليلة ينادي – وأنت غائب –: هل من سائل؟ هل من تائب؟

فإن تمنعوا مني السلام فإنني ... لغاد على حيطانكم فمسلم

رحم الله عظما طالما نصبت وانتصبت، فإذا جن الليل عليهم فتمكن وثبت وثبت، إن ذكرت عدله رهبت وهربت، وإن تفكرت فضله فرحت وطربت، اعترف عن طاعته أنها قد أذنبت، وقامت شاكرة لمن جمعها على إحسانه فنبت، لا حت لها ذنوبها فبكت عليها وندبت وصاحت بها ألسن الغفران، فاهتزت وربت:

قف بالديار فهذه آثارهم ... تبكي الأحبة حسرة وتشوقا

كم قد وقفت بها أسائل مخبرا ... عن أهلها أو صادقا أو مشفقا

فأجابني داعي الهوى في رسمها ... فارقت من تهوى فعز الملتقى

طرق الخيال وقال لي يا مدعي ... أتنام بعد فراق جيران اللقى؟

وحياتكم قسما بأني صادق ... لا طاب لي من بعدكم فيكم بقا

يا سادة مذ حملوا أجمالهم ... ما أورثني بعدهم إلا الشقا

أترى الأرض خلت منهم أم لم ترهم، كلا لو وصفت أعمالهم عرفناهم، أما الأحياء منهم، فالقطرة تجري مجراهم، أما أمواتهم فمعنى الأحبار معناهم.

قف يا هذا على قبورهم ونادهم، واستنشق ريح فضلهم، فهل المعاني في اجتهادهم ضائر الريحان معهم في وسادهم:

كم قد وقفت وأحبابي بمنزلة تبيت يقظانا ولهانا وأهلانا

فهاجها حين حيانا النسيم بما ... سقيا وألقى بالجرع حينا

نبكي فيسعدنا كور المطى فهل ... نحن المشوقون فيها أم مطايانا

ولا من قطر الأشياء ما وجدت ... كوجدنا العيس بل رقت لشكوانا". (١)

(١) مواعظ ابن الجوزي – الياقوتة ص/٨٧